روايات مصرية

سلسلة روايات 37

الحنان و القسوة

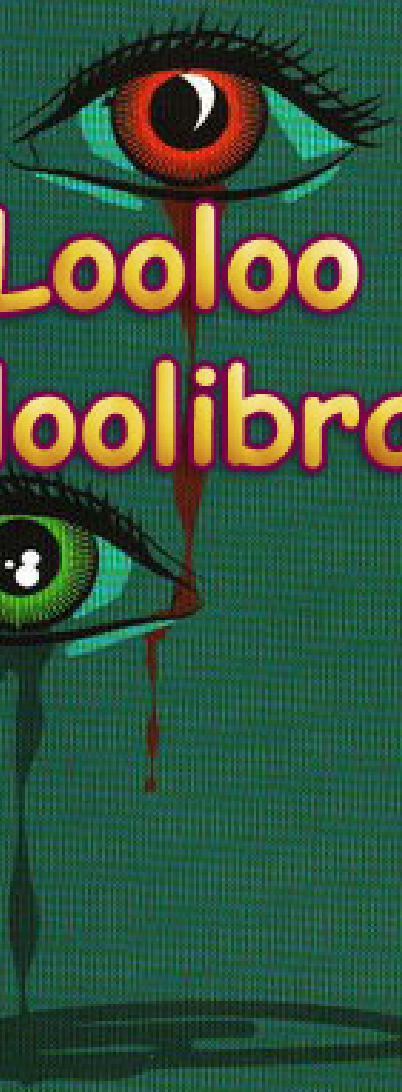

Looloo
www.looloolibrary.com

وائل القاضي

مقـــدمـة

إنـها أمواج الحياة ..

التى نبحث بين أمواجها عن كنوزها ..

ونجرى ونلهث وراءها ..

فنجد أناس يتنعمون ..

وأناس يحترقون ..

وبين أولئك وأولئك .. آخرون ..

يطلق عليهم البسطاء ..

والثلاث لهم مشاكلهم ومآسيهم ..

التى سنستعرضها ..

والتى ربما نتأثر بها ..

حيث سنتألم لألمهم ..

ونبكى لدموعهم ..

فقد نحزن تارة ..

وقد نضحك تارة أخرى ..

ولكن فى كل مرة سنجد قصة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أبطالها من الحياة ..

دموعهم من الواقع ..

أحداثها من الخيال ..

وعندما يمتزج كل هذا مع ذاك ..

سيخرج لنا الاسم جليًا .. وهو ..

قصص من الواقع والخيال ..

وائـــل القـــاضى

إهـــــداء

هذه القصة إهداء إليه وحده .. الذى على يديه قرأت أول الكلمات .. وأحلى وأجمل القصص ..

إهداء إلى أستاذ الأساتذة .. وأعظم كتاب مصر ..

الأستاذ الكاتب الكبير الدكتور .....

(نبيل فاروق) ..

إليه أهدى هذه القصة ... من أولها إلى آخرها ... بكل حروفها ... وكلماتها ...

حتى العنوان ... فهما ليسا مجرد كلمتين ..

ولقد اختصمت .. لدى قصتان .. هذه القصة .. وقصة (الحرمان) ..... ولكن ثقلت هذه ..... فى الميزان ....

ألا تخسروا فى الميزان .....

و إنه لقبس من القرآن .....

نشكرك عليه يا عظيم .. يا رحمن .. (سبحانك)

كم كنت أتمنى أن أكتب لك رسالتين ... ولكن عجز قلبى .. وقلمى عن وصف مشاعره ...

يا ليت لى قلبين .. قلبًا للعشق ولهان .. وقلبًا للدنيا .. يحمل الأفراح .. والأحزان .. ما أعجزك من لسان .. تمسى الكلمات

Looloo

فى عقلى .. كانسياب المياه .. على الشطآن .. ولكنها لم تصل إلى حد الجريان .. كم كنت .. أحب أن أنهى رسالتى .. بالصديق المخلص ..

ولكن الإخلاص صفة أسبغها المنان على .. عباده من .. الصديقين .. والمرسلين .. ونحن لا نستحق النعت .. ولا .. المنعوت ..

إنه إهداء .. صغير .. صغير .. جدًا ..

وأنت أكبر منها بكثير .. جدًا .. جدًا ...

وكاتبها .... مجرد ... إنسان ...

اصفح عنى ...

فأنا مضطر لإنهائها الآن ...

الإنسان .... (وائل القاضى)

(1) الكائن

عاد مستر (روجر) من الخارج مساءً كعادته ... وفتح باب قصره بمفتاحه الذى بحوزته ... ثم قال للجميع :

مساء الخير .. عليكم جميعًا ..

ألقى هذا الأخير بهذه التحية .. على زوجته العزيزة (كيت) .. ونجلته الحبيبة الغالية (بولا) .. وخادمته المخلصة .. (جينيفر) .. وسرعان ما احتضن مستر (روجر) ... نجلته الحبيبة سالفة الذكر ... والتى هرولت نحو والدها ... بكل لهفة وشوق وحب شديد ... بمجرد رؤيتها له والتى لم تتجاوز السادسة من عمرها بعد ... وبعد أن اغترف كل منهما من أحضان الآخر ... وبالطبع لم يرتويا ... استأذن (روجر) من نجلته .. وخادمته ... وسرعان ما أخذ هذا الأخير زوجته ... إلى غرفة المكتب .. وأغلق الباب خلفهما فى هدوء ... ثم قال فى حزن :

لقد انتهت جميع الإجراءات تقريبًا ..

ثم استطرد بنفس لهجته الحزينة :

ولقد طلبت من المشترى ... مهلة أسبوعًا أو أكثر ... حتى يمكننا الانتقال بعدها من هنا ...

وهنا جلست (كيت) ... على أقرب كرسى مجاور لها ... فى حزن شديد .. ثم ترقرق الدمع فى عينيها ... قائلة بنفس لهجتها الحزينة :

Looloo www.looloolibrary.com

إن كل شيء فى هذه الدنيا يهون .. حتى هذا القصر الجميل .. الذى عشت فيه أجمل لحظات وأيام عمرى كلها .. ثم استطردت بذات لهجتها الحزينة :

أما فراق (جين) .. الحبيبة ... المخلصة ...

فذلك الذى لا يهون .. أبدًا .. أبدًا ....

فقال (روجر) وهو يحاول كبح دموعه :

فلنسأل الله أن يعيننا جميعًا .. على فراقها ... ثم استدرك باسمًا لإخراجها مما هى فيه :

ولكنى طلبت من أكثر من صديق .. لكى يوفر .. لها .. أفضل فرصة عمل .. فى أفضل البيوت .. مع أفضل الناس .. والمشهود لهم .. بحسن معاملة الخدم .....

(فروجر) هذا .. كان أحد رجال الأعمال .. الكبار .. فى أمريكا .. ولكن .. أصابته مؤخرًا ضربة قاضية .. عندما غرقت إحدى سفنه المحملة ببضائعه .. والقادمة من لندن مما أضره .. وأجبره على بيع قصره .. المقرب إلى نفسه .. وقلبه .. بولاية (لوس أنجلوس) .. والانتقال إلى بيته الثانى .. بذات الولاية .. والاستغناء فى نفس الوقت .. عن بعض الخدم .. وعندما نقول بيتًا .. فهو ليس فى مستوى قصره بالتأكيد ..

وخرج الزوجان من غرفة المكتب ... وقد تظاهرا بأنه لا يوجد ثمة شيء ... وقامت (جنيفر) لإعداد طعام العشاء ... وقامت (كيت) لمساعدتها .. لأول مرة ... منذ عملت (جنيفر) لديهم .. منذ عشر سنوات ...

حيث كانوا ينادونها بـ (جين) .. ورفضت هذه الأخيرة .. أن تضع سيدتها .. يديها فى أى شيء .. كما اعتادت منذ أن حضرت إلى قصرهم .. وعندما استدارت (جين) لإحضار الملح .. من فوق أحد الأرفف .. لوضعه فى الطعام ... وجدت سيدتها (كيت) .. تبكى فى صمت ... فتركت (جين) ما بيدها ... وسرعان ما جلست .. على ركبتيها ... ثم أمسكت بيدى سيدتها فى حنان شديد ... وترقرق الدمع على الفور فى عينيها ، ثم قالت فى حزن :

ماذا حدث يا سيدتى ...؟؟؟

فوقفت (كيت) فى صمت ... ثم مسحت دموعها ... وقالت وقد أدارت ظهرها لخادمتها :

لا يوجد شيء يا (جين) ... فوضعت (جين) يديها على كتف سيدتها قائلة فى توسل :

أرجوكِ يا سيدتى .. أخبرينى بالله عليك ...

فقالت (كيت) فى خزى :

سأخبرك يا (جين) بكل شيء ... ثم استطردت وهى تستدير ... وتضع يديها على جانبى وجهها ، فأنت شقيقتى ... قبل أن تكونى خادمتى .....

وأخبرتها (كيت) بكل شيء ... واحتضنت كل منهما الأخرى فى صمت ... وشرعتا .. تبكيان ..... وتبكيان .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

تحرك هذا الكائن فى رشاقة وسهولة ... على الرغم من ضخامة جسده البالغة ... وطوله الفارع الذى جاوز المترين بحق ... فى الغابة .. المجاورة لمسكنه ... وعلى الرغم من أن الوقت كان ليلاً ... والظلام كان حالك السواد ...

إلا أنه كان يرى .. كل شىء .. فى وضوح تام .. وكأن الشمس ساطعة بالفعل .. وكان لا يوجد ثمة شىء يعترض طريقه .. أى شىء .. بل كان يفترس أى شىء يعترض طريقه .. بل ويلتهمه إن أمكن .. لدرجة أن حيوانات تلك الغابة .. قد خافت منه إلى درجة الرعب .. وأفسحت له الطريق .. وشرعت فى الابتعاد عنه إلى درجة الهروب .. ليفعل كل ما يشاء .. وكل ما يحلو له .....

ودون أدنى مقاومة .....

* * *

وقبل شروق شمس اليوم التالى بقليل ... وحال مرور مستر (إيدى) ... وصديقيه .. (ريتشارد) ... و(برنارد) ..

ومستر (إيدى) هذا صاحب أكبر مزرعة أبقار .. فى تلك المنطقة ..

بينما (ريتشارد) .. و(برنارد) ... فهما يعملان لديه ... ولكنه يتعامل معهما مثل صديقيه ..

أبصر (إيدى) آثارًا .. غريبة ... فأوقف جواده .. ثم نزل من عليه ... ثم مال على الأرض .. وشرع يفحص تلك الآثار ... التى بدت له غريبة آنذاك ... ولا تشبه أى آثار لأى حيوان معروف على وجه الأرض ..

وسرعان ما نزل صديقاه أيضًا ... من على صهوة جواديهما ... وطفق الجميع يفحصون تلك الآثار فى دقة ... ثم مال (إيدى) على الأرض أكثر .. وأكثر .. ليتمكن من فحصها بدقة أكبر ... وشرع (إيدى) .. يحك ذقنه ... مما يدل على أنه منغمس فى تفكير عميق ....

واحترم صديقاه .. صمته وتفكيره ... وأخيرًا سألهما فى استغراب :

هل أبصرتما تلك الآثار ...؟؟

فأومأ كلاهما بالموافقة ... ثم استطرد فى تساؤل :

ترى ما نوع هذا الحيوان بالضبط ..؟

فهذه أول مرة أشاهد فيها تلك الآثار ... لهذا الحيوان .. فهاتان القدمان الكبيرتان ... ليستا قدمى غوريلا مثلاً .....

ثم شرع يتتبع الآثار ... حتى انتهت هذه الآثار .. عند شجرة كبيرة ... وشرع يدور حولها ويدور ... ويمشى مع صديقيه هنا .. وهناك ويبحث .. ويبحث عن أى أثر .. لتلك الآثار .. التى اختفت تمامًا عند تلك الشجرة .. فى دائرة قطرها كيلومتر .. على الأقل .. ولكنهم لم يجدوا .. ثمة أى شىء لتلك الآثار .. حتى ولو أثار .. عودة .. وكأنما أتى هذا الحيوان .. إلى هذه الشجرة .. دونما عودة .. فأدرك (إيدى) أن هذا الحيوان .. قد عاد عن طريق الأشجار أيضًا ....

وإلا فكيف اختفت مثل هذه الآثار هكذا .... ورفع رأسه إلى الأعلى ... وكأنه يحاول اختراق فروع هذه الأشجار ... وكم تمنى أن يصعد إليها ... وأدرك فى هذه اللحظة كم هو ذكاء هذا الكائن ... إذ اختار هذه الشجرة

Looloo
www.looloolibrary.com

بالتحديد .. فهى أكبر وأضخم شجرة فى هذه المنطقة بحق ... وهنا قال (ريتشارد) :

هل نقوم بإبلاغ المأمور .. (هاريسون) ...؟؟؟

فقال (إيدى) بعد تفكير عميق :

لا ليس الآن .... ثم استدرك قائلاً :

ولكننا سنحتاج إلى رأى خبير كبير ... خبير متخصص فى تلك الآثار ... مثل مستر (توم أرمسترونغ) .....

ثم استطرد قائلاً :

فهو الذى سيحدد لنا نوعية تلك الآثار ... هل هى حيوانية ... فنستعد لها .. أم ...

فقاطعه (برنارد) قائلاً فى تساؤل ..

هل تشك فى ثمة شىء معين ... يا مستر (إيدى) ؟ فقال هذا الأخير بعد تفكير عميق :

بعد قليل .. سنعرف ... ثم أردف فى لهجة آمرة :

(برنارد) اذهب إلى (توم) .... وانتظره حتى يحضر .....

ولا تحضر من غيره ... ثم أردف وهو يفحص تلك الآثار للمرة المائة : سنعرف سر تلك الآثار .. إن عاجلاً .. أو آجلاً ...

* * *

(2) الهجـــوم

ذهب للصيد منذ يومين مع (بيل وبراد) ... ولم يعد حتى الآن .....

نطق برنارد بهذه العبارة .. ليخبر رئيسه بأن مستر (توم أرمسترونغ) .. غير موجود .. فسأله (إيدى) :

وهل تعلم نجلته (سوزان) .. متى سيعود ..؟؟؟

فأجابه برنارد بصدق :

كلا .... فقال (إيدى) :

سيعود قريبًا .... ثم استدرك قائلاً :

ولكنى أرجو .. ألاَّ يهاجمنا ذلك الكائن .. حتى يعـود (توم) .. فسأله (ريتشارد) :

لماذا تخشى هذا الحيوان .....

إلى هذه الدرجة ...؟... يا مستر (إيدى) ...

فأجابه هذا الأخير فى شرود :

أولاً : آثار هذا الكائن غريبة جدًا .. جدًا ....

ثم استطرد قائلاً : ونحـن لا نعـرف ماهية هـذا الكائن بالضبط ... لذا فمن الأفضل أن نطلق عليه (كائن) ... وليس (حيوان) فى الوقت الحاضر ... ثم أردف قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

فآثار قدميه شبه مستوية ... وكأنما ... كأنما لا يوجد أصابع بكلتا قدميه ... وهذا شيء غريب ... وعجيب فى ذات الوقت ...

ثم استطرد فى اهتمام : هل أحضرت الرجال الذين طلبتهم منك .. وكذلك ...

فقاطعه (ريتشارد) : نعم أحضرت المزيد من الرجال .. وكذلك الكلاب .. التى طلبتها ... وقمت بربط كل كلب ... عند كل ركن من أركان المزرعة ..

فقال (إيدى) بصوت خافت : أرجو أن يكفى كل هذا.....

* * *

انتهت أسرة مستر (روجر) من وجبة العشاء ... وسرعان ما شرعت (جين) تلملم بقايا الطعام ... وبعد أن انتهت هذه الأخيرة من ذلك ... سرعان ما أعدت ... الشاى إلى سيدها وسيدتها ...

ثم حملت الصغيرة (بولا) .. لتضعها فى فراشها .. وتساعدها على النوم ..

وبعد أن نامت الصغيرة ... ترقرق الدمع من عينيها .. وكأنها تودعها ... ثم نزلت إلى الأسفل .. بعد أن مسحت دموعها ... ثم ذهبت وأخذت صينية الشاى ... وقبل أن تنصرف استوقفها (روجر) قائلاً :

(جين) .. أنت تعلمين بالطبع بالمصاب الذى ألمّ بنا ... ثم استدرك قائلاً : ولكن لا تقلقى ....

لقد أوصيت أعز أصدقائى ... لكى تعملى فى أفضل البيوت بولاية (كاليفورنيا) ... وأرجو أن تستمتعى بحياتك القادمة ... مع أفضل الناس

فى ولاية (كاليفورنيا) ... وكان هذا يعنى انتقالها من ولاية (لوس أنجلوس) ... والتى عاشت وترعرعت فيها منذ الصغر ... ولكنها استسلمت بدون أى اعتراض ....

ثم انصرفت فى هدوء ... لغسل الأوانى التى تخلفت عن الطعام .

* * *

تحفز الرجال الذين أحضرهم (إيدى)

للحراسة ليلاً .... وكأنما ينتظرون هجومًا مسلحًا ... بعد أن حذرهم (إيدى) ... من وجود كائن غريب طليق بالغابة ... وكانت الساعة حوالى الثالثة ... بعد منتصف الليل تقريبًا ... وهنا تثاءب (مايكل) فى ملل ... وهو يقول لصديقه (داونى) فى ازدراء :

يا لسخرية القدر !.. يا للحقارة !.. مجموعة من أفضل الرجال .. هم .. ههنا ... لحراسة .. من ؟

قطيع من الأبقار .. والماشية ... هم .. إنها لعنة السماء قد حلت علينا بالتأكيد ...

فقال (داونى) مبتسمًا :

ألن تكف عن هذه الأقاويل أبدًا يا صديقى ..؟

ثم استطرد قائلاً :

ثم إن مستر(إيدى) لم يفعل ذلك ... إلاَّ لأنه شاهد آثار كائن غريب ... ولولا ...

Looloo
www.looloolibrary.com

فقاطعه (مايكل) بضحكة كبيرة .....

فقال (داونى) بلهجة آمرة : اخفض صوتك يا رجل ... ماذا تفعل بالله عليك ..؟

وهنا قال (مايكل) فى خبث :

وهل صدقت أيها البائس هذه الإشاعة ..؟

فقال (داونى) : كلنا نعرف مستر (إيدى) منذ زمن ... ونحن لم نعتد منه الكذب أو الغش أبدًا ... بل إنه لا يحتاج إلى ذلك .. وكان (مايكل) يرغب فى استكمال حديثه ....

لولا أن قاطعه صوت نباح الكلاب ... مما ينذر بوجود خطر ما .. وعلى الفور أطلق العشرون رجلاً ... الذين يحرسون المزرعة كلا منهم ... طلقتين فى الهواء ...

ثم أضاءوا الأنوار التى بحوزتهم .. كما أمره مستر (إيدى) ....

وسرعان ما اجتمع الرجال ... واستيقظ (إيدى) على صوت الطلقات النارية .. وقام الرجال بإطلاق سراح الكلاب ... التى جرت صوب رائحة ذلك الكائن ... وانطلق جميع الرجال فى أثرها ... وبالطبع كانت الكلاب ... تسبق الرجال بحوالى مائتى متر على الأقل ..

وفجأه .. سكتت الكلاب كلها عن النباح .. فتوقف الرجال .. وأدرك (إيدى) .. أن هذا يعنى أن ذلك الكائن قد تمكن منهم .. وهزمهم .. وربما قتلهم .

فصرخ بالرجال .. يستحثهم ... على الجرى .. لا على المشى .. وعلى الرغم من أنه كان فى بداية العقد السادس من عمره .. إلاَّ أنه كان

يسبقهم فى نشاط عجيب .. وقد اعترته قوة عجيبة .. لم يعتدها فى نفسه منذ زمن ... بل ذكرته بأيام شبابه ..

ولكنه رمى كل هذا جانبًا ... وهو ما زال يستحث الرجال :

هيا .. هيا .. أسرعو .. أسرعوا ... ووصلوا فى تلك اللحظة إلى مكان الكلاب ..

وكانت الكلاب كلها عبارة عن أشلاء ممزقة .. بل كتلة من اللحم المفرى ...

وكأنما تم ضربها فى خلاط عملاق ...

فصرخ (إيدى) بكل غضب :

اللعنة ... اللعنة ....

وهنا تناهى إلى سمعه ....

صوت صراخ ماشيته ... فانفطر قلبه ..

فصرخ فى الرجال .... يستحثهم على العوده مرة أخرى ... وبأقصى سرعة ... ممكنة ... وقد نسى أن يترك ولو رجلين ... لحراسة المزرعة .....

وعندما عادوا إلى المزرعة ... وجدوا حوالى عشر أبقار... ممزقة شر ممزق ...

ولكنها كانت أفضل حظًا من الكلاب ..

فلم يتسن لهذا الكائن ... أن يفعل بها ما فعل بالكلاب ..

ونظر (إيدى) إلى ماشيته الممزقة ... فى حسرة وألم وحزن ... وكأن أبناءه هم الذين قتلوا ....

Looloo
www.looloolibrary.com

وصمت الرجال جميعًا .. احترامًا لحزنه .

وأصابته صدمة كبيرة من هول المنظر .. فهو يعشق ماشيته .. إلى درجة الجنون ... بل يعشقها أكثر من نفسه بحق ..

وأدرك (إيدى) الخدعة التى تعرض لها هو ورجاله ..

والفخ الذى أعده هذا الكائن لهم .. فى براعة منقطعة النظير .. فقد أوحى إلى الكلاب بوجوده .. التى سرعان ما ابتلعت الطعم ... وشرعت تنبح .. وتنبح .. لتعلن وتؤكد .. وجوده .. فأطلقه الرجال فى أثره بناء على تعليماته .. وعندما ابتعد الجميع عن المزرعة .. ونسى هو بغبائه .. أن يترك رجلين لحراستها .. نظرًا لأن هذه هى أول مرة .. يواجهون فيها مثل هذا الموقف .. حيث كان هذا .. الكائن .. بقوته .. وجبروته .. قد استفرد بهذه الكلاب .. المسكينة .. التى قام بفرمها .. وتمزيقها .. أيما تمزيق .. وعن طريق الأشجار .. عاد إلى المزرعة .. ثم فعل فعلته الشنعاء .. وجريمته النكراء .. حين استفرد بهذه الماشية .. التى لا حول لها .. ولا قوة .. ثم قام بتمزيقها على هذا .. النحو .. الشنيع .. البشع ..

وهذا يعنى أنهم لا يواجهون كائنًا عاديًا .. بل كائنًا قويًا فى منتهى القوة ..

ذكيًا .. ربما إلى درجة العبقرية ... خطيرًا .. إلى درجة القتل ... وهنا تلاحظ له أن هناك ... فخذًا ناقصًا من أحد ماشيته ... فدارت بخلده فكرة مجنونة .....

مجنونة بحق .....

* * *

(3) الأشجار

وهى أن هذا الكائن قد أخذ هذا الفخذ ... ليتغذى عليه .. على أحد هذه الأشجار المحيطة بهم .. وربما هذا الكائن .. ما زال موجودًا ... على أحد هذه الأشجار .. المحيطة بهم .. بل ربما يراهم .. ويراقبهم الآن بحق ..

فصرخ فى رجاله فى لهجة آمرة ... ممزوجة بالغضب الشديد :

أطلقوا النار على الأشجار .....

فشرع الجميع فى تنفيذ أوامره ... فى سخاء .. شديد ....

وكأنما قد شعروا بالتقصير ... على ما أصاب .. سيدهم ... الذى لم يبخل عليهم .. بأى شىء ... وطفق الجميع يطلق النار .. فى جميع الاتجاهات ..

وامتزج صوت إطلاق النار .. بصوت الماشية .. التى انزعجت بشدة من صوت إطلاق النار ... والذى لم تعتد عليه من قبل ... ولاحظ (إيدى) .. أن هناك شجرة كبيرة .. بها حركة ... عنيفة ..

فصرخ فى رجاله مرة أخرى :

أوقفوا الضرب ... أوقفوا الضرب .....

فقال أحد الرجال :

ماذا حدث يا مستر (إيدى) ...؟؟؟

Looloo
www.looloolibrary.com

لماذا أمرتنا بإطلاق النار ..؟ ثم أمرتنا .....

فقاطعه (إيدى) .. بإشارة من يده .. والتى تعنى التزام الصمت التام .. وطوال نصف دقيقة كاملة .. لم يتحرك ثمة أحد .. بل ولم يقم أىٌ منهم بأدنى حركة ...

وكأنهم .. خشب مسندة ....

ــ ولم يكن فى المكان سوى صوت الماشية ...

وصــوت نباح الكلب الخاص بمستر (إيــدى) .. والذى رفض هــذا الأخير ... أن يشارك به فى تلك المطاردة حرصًا عليه ... وخشية عليه من أن يصاب ... بأى أذى أو .. مكروه ..

وسرعان ما أشار (إيدى) إلى شجرة ... كبيرة ... والتى انتهت عندها آخر حركة .. بل وما زالت تهتز حتى الآن ...

ثم قال فى غضب شديد بلهجة آمرة :

أطلقوا نحو تلك الشجرة .....

وكأنما تلك الشجرة كانت تراقبهم .. وتنتظر ..

فما أن أشار (إيدى) .. إلى تلك الشجرة ..

وقبل أن يطلق أى رجل منهم ثمة طلقة واحدة ... وبل وقبل أن ترتفع أسلحتهم صــوب هــذه الشجرة ... كانت هــذه الشجرة قــد صدرت من خلالها .. حركة أعنف من الحركة الماضية .. والتى شاهدها (إيدى) .. من قبل .. وحينما قرروا إطلاق النار ..

ولأن هذا الكائن كان يترقب .. وينتظر .. فقد كان هذا الكائن .. ينتقل من شجرة إلى شجرة ... بأقصى سرعة ممكنة له .. حتى أن الرصاص

الذى أطلقه ... هؤلاء الرجال من أسلحتهم .. حينما وصل إلى المكان ... الذى كان يختبئ فيه ذلك الكائن .. كان ذلك الكائن قد تجاوزها بكثير .. لدرجة أن (إيدى) قد شعر هو ورجاله ..

ان ذلك الكائن .. أسرع من طلقات الرصاص بالفعل ..

وعلى الرغم من أن الرجال قد أطلقوا الكثير من الرصاص .. إلاّ أن كل هذا الرصاص ... لم يمر حتى بجوار هذا الكائن ... من شدة سرعته التى لاحظها الجميع بلا استثناء ... حال انتقال ذلك الكائن ... بكل سرعته وقوته .. من شجرة إلى شجرة ....

وأمام أعين الجميع .. وعلى صوت الماشية ..

وصوت نباح (لاكى) .. الكلب الخاص بــ (إيدى)

شاهد الجميع .. ذلك الكائن .. وهو ينتقل من شجرة إلى شجرة .. ويبتعد عن المكان .. ويبتعد .. ويبتعد ..

أو بمعنى أدق .. فلم يشاهد ... أى أحد منهم .. شكل هذا الكائن ....

ــ أو يتبين ماهيتــه .. أو شكله .. أو نوعه .. وبعــد أن اختفى ذلك الكائن تمامًا ..

اعتصرت قبضة قوية .. قلب (إيدى) .. وشعر بدموع قلبه تسيل فى غزارة .. من شدة الألم .. والحزن .. والحسرة ..

واقترب (برنارد) من (إيدى) ثم قال بصوت أقرب إلى الهمس :

أعتقد الآن .. أنه يجب أن نبلغ ...

المأمور (هاريسون) .. أيها الرئيس ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم يجب (إيدى) .. فقد كان هذا الأخير يعلم ..

أن (برنارد) على حق تمامًا .. هـذه المـرة .. ويجب إبلاغ المأمور بذلك .. على الرغم من أنه يبغض هذا إلى أقصى درجة .. فلن يستطيع هو ورجاله ... أن يواجهوا هذا الكائن .. مرة أخرى .. فى المرة القادمة ..

— بل يجب ألا تكون هناك مرة .. قادمة ... يجب .....

ولكنه تعجب من أمر هذا الكائن ... فما دام هذا الكائن ... يمتلك هذه القوة .. وهذه السرعة ... فلما يخشاهم هذا اللعين ...

إلى هذه الدرجة ..؟

لماذا .. ؟.. لماذا ..؟

أم أن هذا الكائن يخشى البشر ..؟

وطرأت فكرة مروعة على رأسه ...

بل أفزعته إلى أقصى حد ..

فماذا لو فيما بعد تجرأ هذا الكائن على البشر ..؟

أو حاول أن يتغذى عليهم .. يا إلهى .. ستكون الفاجعة كبيرة بحق هذه المرة .. بل كبيرة إلى أقصى درجة .. لا يمكن للمرء أن يتخيلها .. ترى هل سيأتى اليوم ...؟؟؟

الذى يرى فيه رجالاً أو نساء .....

ممزقة بهذه الطريقة ... وعلى هذا النحو البشع ، وامتعض وأصابته المرارة عندما تذكر شكل الكلاب ... وماشيته الممزقة بهذه الطريقة ...

وسرعان ما طرد هذه الأفكار ... وتلك الخيالات البشعة من رأسه .. وأن جل ما عليه الآن .. أن يحرس ماشيته جيدًا ... ولو بحياته .. حتى لا يتكرر ما حدث اليوم مرة أخرى أبدًا .. أبدًا ..

وأن عليه أن ينتظر مستر (توم أرمسترونغ) بفارغ الصبر ... حتى يعود ... فهو الخبير .. والطبيب البيطرى .. ليس بهذه الناحية فقط .. بل بالولاية كلها .. وهنا أجبره (ريتشارد) على الخروج من أفكاره وخيالاته ..

حينما قال مكررًا قول (برنارد) .. وهو يضع يده على كتف (إيدى) ..

أعتقد الآن أنه يجب الاتصال بالمأمور (هاريسون) .....

واستفاق (إيدى) من شروده وهو يقول :

هم .. نعم ... نعم ...

وأخذ (إيدى) نفسًا عميقًا ... ثم أخرج من صدره ... زفيرًا حارًا كاللهب .. من شدة الغضب ... وهو يستكمل كلامه ... وهو مطأطئ الرأس من شدة الحزن على ماشيته :

نعم .. يجب الاتصال به وإحضاره على وجه السرعة .. واستدرك قائلاً :

ولكن فى الصباح الباكر .....

والآن علينا أن نحرس هذه الماشية ...

وأردف حديثه فى إصرار شديد :

ولو بأجسادنا .. وحياتنا نفسها .. لو استلزم الأمر .. رغم ثقته الشديدة .. بأن هذا الكائن لن يعود الليلة مرة أخرى .. أبدًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقد أخذ ما يشاء .. واستحصل على ما يريد ..

وقرر الرجال الذين بصحبته ... تنفيذ أوامره حرفيًا .. هذه المرة ....

ولو استلزم الأمر التضحية بحياتهم نفسها ..

فالأمر أصبح ليس مجرد حماية قطيع من الماشية .. بل أصبح هناك عدو خفى يتربص بهم .. بل وقد يفتك بهم أيضًا .. أما الكائن نفسه .. فكان يراقبهم من بعيد .. وهو يعلم علم اليقين .. أنه فى أمان تام .. واتكأ على أقوى وأغلظ فرع فى هذه الشجرة ..

وشرع يستكمل طعامه فى هدوء .. وسكينة شديدين .. وكأنه لا يوجد فى الوجود كله ما يمكن أن يهدده قط ..

ورأى (إيدى) وهو يجلس على صخرة كبيرة بجوار ... مزرعة قطيع الماشية خاصته ..

ثم رأى وسمع (ريتشارد) وهو يجلس على الأرض ... ثم يميل هامسًا على (إيدى) قائلاً :

أعتقد أنه ما زال موجودًا على تلك الأشجار .. ورأى الكائن يده وهى تتجه نحوه ..

و(ريتشـــارد) يشير فى الأصـــل بلا هدف ... ثم أردف بنفس لهجته الهامسة :

وأعتقد أيضًا أننا يجب أن نهجم ونصعد إلى تلك الأشجار .. فهى مصدر الخطر الحقيقى حولنا .. وقـــد يهجم علينا مرة أخرى ..

ودون أن ندرى فقد يفتك ببعض الرجال ..

ثم خلع القبعة التى يرتديها وهو يقول فى خوف وكأنما يخشى أن يسمعه ثمة أحد :

ونحن فى غنى عن هذا .... وانزعج الكائن بشدة آنذاك .... وتحرك فى هدوء مشوب بالترقب .. والقلق ..

وفكر (إيدى) كثيرًا قبل أن يجيب وهو ينظر إلى الأرض ... ثم قال :

لا يمكننا مهاجمة الأشجار ..

فسأل (ريتشارد) وقد بدأ (برنارد) فى الاقتراب منهما ... ليستمع إلى ما يقولان :

لماذا ...؟؟؟

فأجابه (إيدى) فى ثقة :

إن الأشجار هى معقله .. وحصنه .. ومصدر قوته ... من يقترب منها فهو هالك لا محالة ... ولا يسعنا سوى الانتظار ... حتى يحدث منه .. ويفعل ما أتمنى ... وهنا سأل (ريتشارد) هذه المرة :

وما هو ذلك الشىء الذى تتمناه يا مستر (إيدى) ..؟

فأجاب (إيدى) بنفس لهجته :

أن يرتكب الخطأ الذى أتمناه .. ويهبط على الأرض ..

واستدرك قائلاً :

ولكنى أعتقد أنه ليس بهذا الغباء ....

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم يكن (إيدى) يعلم فى تلك اللحظة أن الكائن ... قد استمع إلى كل هذا الحوار ...

ثم .. ابتسم .. فى ثقة كبيرة .....

ثم عاد واتكأ مرة أخرى ..

وهنا سأل (برنارد) فى عفوية غير مقصودة :

وما هو الهلاك فى الاقتراب من هذه الأشجار ..؟

فأجابه (ريتشارد) هذه المرة :

ألم تر ما فعله بأربعة من أقوى الكلاب البوليسية المدربة ؟.. فما بالك لو انفرد بأحد منا ؟!..

وهنا قال (إيدى) :

من فضلكم يا سادة ... اذهبوا إلى عملكم الآن ... واتركونى بمفردى ..

ومضت ساعات الليل بطيئة رتيبة على الجميع .. حتى انطلقت أول خيوط الصباح .. وعلى عكس المتوقع ..

كان صباحًا من أجمل ما يكون .. ذا هواء عليل .. ونسمات جميلة ..

وكأنما لم يحدث ثمة شىء بالأمس ..

وسرعان ما ذهب (ريتشارد) إلى المأمور(هاريسون) ... بعد شروق الشمس بحوالى ساعتين ... فى حوالى الساعة الثامنه صباحًا ... وقص عليه باختصار كل ما حدث ... ثم عادا سويًا .. إلى (إيدى) فى مزرعته

* * *

(4) الانتقـــال

سرعان ما عاد المأمور .. سالف الذكر ... مع (ريتشارد) بسيارة الأول ..

واستقبلهما (إيدى) خارج المزرعة .. وبعد تبادل التحيات .. والمجاملات ... المعتادة .. دخل هذا الأخير .. فى الموضوع مباشرة ..

ثم أعاد على مسامعه ... كل ما حدث .. بأدق التفاصيل .. وعلى الرغم من أن المأمور ... قد استمع إلى الرواية آنفًا ... من (ريتشارد) ..

إلا أنه قد أنصت إلى (إيدى) .. بمنتهى الاهتمام ..

ثم أخذ هذا الأخير .. (هاريسون) .. فى جولة لتفقد جميع الآثار بالمزرعة .. آثار قدمى الكائن الغريب .. وآثار مذبحة الكلاب .. وآثار مذبحة الماشية الدامية .. وبعد أن استمع .. وشاهد المأمور كل ما حدث .. شرع يفحص كل شىء .. وهذه الآثار .. بمنتهى الدقة والاهتمام .. ودونما أدنى تعليق .. وتركه (إيدى) .. دونما تدخل منه .. حتى ينتهى .. ثم شرع .. ينظر إلى الأشجار .. هنا وهناك .. وأخيرًا قال بعد تفكير عميق :

إن الموضوع فى غاية الخطـــورة ... بحـــق ... يا مستر (إيدى) ... فالموضوع ليس مجرد قصة قتل ماشية ... أو كلاب .. أو حيوانات ...

ثم أردف قائلاً :

فجل ما أخشاه أن يتجاوز هـــذا الكائن ... كل الحـــدود .. ليهجم على البشر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وإن كنت أشكر الرب القدير .. حتى الآن ... أنه لم يفعل ذلك ... ولهذا السبب بالتحديد ...

ثم أردف فى قوة :

وأتمنى معرفته بالتأكيد ... وعلى كل حال فإن الظاهر ... أن مصدر قوته حتى الآن ... هى تلك الأشجار .. ورفع رأسه إلى أعلى ...

ثم استطرد فى حسرة :

وأخشى أننا لا نستطيع متابعته ... ومطاردته .. عبر هذه الأشجار .. وكذا لا نستطيع وضع رجل بها .. أو تسلقها .. فهذا فى منتهى الخطورة أيضًا ...

وهنا سأله (ريتشارد) فى تسرع :

ما الحل فى رأيك .. إذن يا مستر (هاريسون) ..؟

فأجابه هذا الأخير على الفور وقد اتخذ قراره :

يجب وضع قوة بهذه الغابة ... لتمشيطها .. ليلاً ..

ولمنع حدوث أية حوادث أخرى مستقبلاً ..

وهنا قال (إيدى) أخيرًا :

وهل تعتقد أن هذا سيكون كافيًا يا مستر (هاريسون) ..؟

فأجابه على الفور .. وهو يمشى عائدًا .. إلى حيث المزرعة :

بالطبع لن يكون هذا .....

قطع هذا الأخير كلامه بعد أن مشى عدة خطوات ... ثم وقف قائلاً :

وأخشى .. ما أخشى .. أن تكون وجود هذه القوة فى الغابة ... هى عنصر استفزاز لهذا الكائن فى الغابة ... فيفترس هؤلاء الضعفاء .. بلا رحمة .. أو هوادة ..

ثم استدرك قائلاً :

ولكن على العموم .. سيكون هذا أمر مؤقت بالتأكيد .. لحين عودة مستر (توم) من رحلته ..

ثم وقف ونظر للجميع قائلاً :

ولكن .... يا هل ترى ..؟

هل سيترك هذا الكائن هذه القوة ..؟

ولا يتعرض لها .. أو لأى أحد لحين عودة مستر (توم) .. هل ..؟

ومشى عائدًا .. نحو المزرعة مرة أخرى .. وهم معه وبقى سؤاله معلقًا فى بطن الغابة .. وفى سمائها .. بل أجابه ..... لم يجرؤ ثمة أحد على الرد ..

وبقى هذا السؤال .. معلقًا أيضًا .. فى أذهان الجميع .. يدور .. ويدور .. بلا توقف .. أو هوادة ..

نعم .. هل سيترك هذا الكائن هذه القوة ..؟

فى حالها .. ولا يتعرض لها .. لحين عودة مستر (توم) ... هل .....؟

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى منتصف اليوم تقريبًا .. وعندما توسطت الشمس .. منتصف السماء ..

كانت أسرة مستر (روجر) تستعد للانتقال .. بعد أن استعدت لذلك .. وتم تجهيز أكثر من سيارة ... لنقل الأشياء الخاصة بهذه الأسرة ..

وانتهى الجميع من النقل ... ولم يبق إلاَّ الشىء الأصعب فى هذه الدنيا .. على أى شخص فى الوجود ..

ألا هو الانتقال من مكان إلى مكان ..

وبدموع منهمرة .. ودع الجميع .. أرجاء القصر المشيد ... الخاص بمستر (روجر) .. ودار هذا الأخير بصفة عامة ..

ودارت النساء بصفة خاصة ..

فى جميع أرجاء المكان للوداع .. من كل شبر فى هذا القصر ..

واحتضنت الزوجة (كيت) .. خادمتها الحبيبة (جين) .... فى قوة ..

وشرعتا تبكيان .. وتبكيان ... فى قوة ممزوجة بالصمت .. والقهر ...

والأولى تقول للثانية :

لا تنس يا (جين) ... عندما تستقر بك الأمور ... فى البيت الجديد .. أرسلى لنا خطابًا .. لنطمئن على أخبارك أولاً .. بأول ..

فأومأت هذه الأخيرة برأسها دلالة على الموافقة ..

وانتهى هذا الوداع الحار .. أخيرًا ..

وكأنهما شقيقتان .. بحق ..

وليست العلاقة فيما بينهما .. هى علاقة خادمة .. بمخدومتها ..

وودعت (جين) مستر (روجر) ... وهذا الأخير يقول لها فى حنان :

لقد جهزت لكِ هذه السيارة .. خاصة بكِ ..

لكى تأخذكِ إلى صديقى مستر (فاريل) ..

واستطرد كلامه بذات لهجته الحانية ..

وهو متخصص فى ذلك :

ولقد أوصيته عليكِ ... لكى يذهب بك إلى أفضل زبائنه ..

وسوف يكون بيت طبيب على الأرجح ..

أتمنى لكِ السعادة ... من كل قلبى ..

وأن يعينك الرب القدير على عملكِ الجديد .. هناك ..

وأرجو أن ترفعى رأسنا كالمعتاد دائمًا ..

واحتضنها هذا الأخير ... فى أبوة صادقة ..

ثم قبل رأسها مودعًا .. وهو يقول :

إلى اللقـاء .. يا (جين) .. ثم ودعتهما (كيت) مـرة أخرى .. وانصرف كل إلى سيارته ..

واحتضنت (جين) .. الصغيرة (بولا) .. فى منتهى القوة ..

وعلى الرغـم مـن عمرها الصـغير .. إلاَّ أنهما شرعتا تبكيان .. وتبكيان ... فقد كانت (جين) تعتبرها مثل ابنتها بحق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وكانت هذه الأخيرة تعتبرها كل شيء لها .. فى هذه الدنيا ..

فهى الصديقة ... وهى الشقيقة .. والأم .. ومنبع الحنان والدفء والأمومة ... فى أحيان كثيرة ..

وأهم من كل هذا .. الرعاية .. والحماية ..

وعقب كل هذا .. ركبت هذه الأسرة سيارتها ..

وركبت (جين) السيارة الخاصة .. بها ..

والتى أحضرها لها مستر (روجر) خصيصًا لها ..

وألقى الجميع بلا استثناء نظرة الوداع ... الأخيرة .. على القصر ...

وحضر المالك الجديد ... ومعه أسرته ... وبكل حسرة ... سلمه (روجر) كل المفاتيح الخاصة بالقصر ..

وترك للبواب مهمة أخذ المالك الجديد .. للتمتع والتجول به فى جميع أرجاء القصر ... ومعرفة كل مكان فيه ... والمفتاح الخاص به ..

وكم تمنى (روجر) الذهاب مع المالك الجديد ..

ليقوم بهذه المهمة بدلاً من البواب .. إلاّ أنه لم يستطع فعل ذلك أبدًا .. وعندما شاهد الجميع المالك الجديد ... وأسرته .. وهم يستلمون المفاتيح من (روجر) .. اعتصرت قبضة عاصفة .. قلوبهم جميعًا بلا رحمة ..

وانهمرت الدموع مرة أخـرى فى صمت .. وأعطى مستر (روجر) .. (جين) ... ظرفًا .. أصفر .. ثم قال لها فى امتنان :

لتعتبرى هذا المبلغ .. مكافأة نهاية الخدمة ..

ثم طبع على جبينها قبلة حانية مثل والدها ..

وحاولت (جين) أن ترفض فى البداية ... مبررة ذلك الرفض بأنها لا تحتاج إلى ثمة شيء ... و لكن (روجر) ألح عليها ...

فاضطرت هى إلى وضع الظرف ... فى حقيبتها دون عده ..

وأخيرًا .. وليس آخرًا ... ركبت الأسرة الصغيرة سيارتها ... الخاصة بها .. وانطلقت إلى وجهتها .. دون أن يجرؤ ثمة أحد منهم ... على النظر خلفه .. أبدًا .. أبدًا ....

إلاّ (بولا) .. تلك الفتاة الصغيرة .. التى كانت تعتبر قصر والدها ... ليس مجرد بيت عادى .. وإنما هو جنتها الحقيقية .. هناك ..

وقد أدركت هذه الأسرة ... بأنها لن تعود إلى هذا القصر إلاّ بمعجزة حقيقية ..

أما (جين) .. فقد ركبت سيارتها .. التى أحضرها مستر (روجر) خصيصًا لها .. للانتقال بها إلى حيث ولاية كاليفورنيا ..

وهى على يقين أنها ذاهبة إلى المجهول مرة أخرى ..

وأنها أخيرًا .. قد تخلصت من هذا الإحساس .. أو هكذا اعتقدت ..

ولكن هـذه هى الأيام .. والأقدار .. تلعب نفس لعبـة المجهول .. والمخاطر مرة أخرى ..

فهى لا تعلم .. إلى أين ستذهب ....؟!

مع من ستعمل ....؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

كيف سيكون هؤلاء الناس الذين ستعمل لديهم ..؟

هل سيحسنوا معاملتها ..؟

مثل آل (روجـر) ... أم ستتذوق ... صـنوف وألوان العذاب ... مرة أخرى .. كما حدث من قبل ...

ونظرت إلى الطريق الممتد أمامها ... فى شرود بلا هدى .. وقد هاجمتها ذكرياتها المؤلمة .. مرة أخرى ..

ودون أن تدرى ... ودون أن تشعر .. شرعت تبكى ...

وتبكى ...

وتبكى .....

* * *

(5) البيـت

وشرعت تفكر .. ترى من هذا الرجل ..؟

الذى قال عنه مستر (روجر) ..

وهل سيستقبلها جيدًا ..؟

وهل سيعاملها جيدًا ..؟

وهل سينفذ وصية مستر(روجر) بشأنها ..

بأن تعمل عند أناس جيدين .. طيبين ...

مثلما كانت تعمل سابقًا ..

لدى أسرة مستر (روجر) ....؟

وشرعت ذكرياتها تهاجمها فى عنف ..

وأصابها الرعب من أن يتكرر معها ...

مثل ما حدث سابقًا ..،

ودعت الرب القدير .. ألاَّ يتخلى عنها ...

وأن يساعدها ... وأن تعمل لدى أناس طيبين ..

وهاجمتها ذكرياتها المؤلمة فى قوة ..

فشرعت تهز رأسها فى عنف ...

وكأنها تتلقى صفعات متتالية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ونظر إليها السائق من خلال مرآته الداخلية .. التى تتوسط زجاج السيارة ..

فسألها فى قلق :

هل تحتاجين ثمة شىء يا مس (جين) ..؟

فأجابته باقتضاب :

كلا ...

وشرعت تحـاول بلا فائدة ... بأن تنفـض عـن رأسها تلك الذكريات اللعينة ..

وتساءلت فى نفسها مرة أخرى :

هل ستعمل لدى طبيب بحق ...

كما أخبرها مستر (روجر) ..

أم أنها ستعانى مرة أخرى مثلما عانت من قبل ..

إنها تعتبر أن عملها لدى مستر (روجر) ...

بمثابة الميلاد الحقيقى لها ...

لقد عاشت معهم عشر سنوات ...

كانت أجمل سنوات عمرها بحق ..

فهل ستعمل لدى هذا الطبيب .. أم لا ..؟

إنها لا تريد أن تعيش ... أيامها .. المرعبة البائسة ... التى عاشتها من قبل ..

وسألت الرب القدير بألا يتخلى عنها :

ترى كيف سيكون هذا الطبيب ..؟

هل سيكون طبيبًا جيدًا ..؟

هل سيكون طيبًا .. أم شريرًا ..؟

هل هو شاب .. أم عجوز ..؟

أم هو .. فيما بين هذا .. أو ذاك ..؟

هل هو متزوج أم .. أعزب ..؟

هل سيسىء .. إليها .. كما حدث لها سابقًا ؟

هل لديه .. أطفال ...؟

هل سيخدع مستر (فاريل) هذا صديقه ..

بألا تعمل لدى هذا الطبيب ..

ويجعلها تعمل مع أناس آخرين ... أم أن.....

هذا الطبيب ... قد وجد خادمة أخرى بحق ..

أم ستجبر الظروف مستر (فاريل) ..

لكى تعمل هى لدى أناس آخرين ....؟

وبعد أن كاد رأسها ينفجر ... من شدة وقسوة التساؤلات .. والحيرة التى أصابتها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

من جـراء ما حـدث .. لها مؤخرًا .. قررت الاستسلام أخيـرًا .. فليس أمامها سـوى ذلك ... وأيًا كان البيت الـذى ستذهب إليه ... فإنها سترضخ فى النهاية ... وسألت الرب مرة أخرى أن يعينها على حماية نفسها ... ثم أمالت رأسها .. وأغمضت عينيها ... وقد حاولت النوم ... مرارًا .. وتكرارًا .....

ولكن بلا فائدة .....

أبدًا .....

أبدًا .....

* * *

بيت الطبيب .. (دانى ستيوارت) ... ظاهره من الخارج ... أنه بيت عادىٌ ... مثل كل البيوت ... مكون من طابقين ... كعادة معظم البيوت .. فى ذلك الوقت ... أما من الداخل .. فلم يكن بيتًا عاديًا على الإطلاق ... فربما كان أشبه بسجن ... أكثر منه مجرد بيت ... فقد كان هذا البيت ... ينقسم إلى أربعة أقسام ... يتحكم فيها ... مدير المنزل ... العجوز .. الصارم .. مستر (جون آدمز) ... وهو رجل فى العقد السابع من العمر ... ولكنـه كان يمتلك حيوية .. ونشـاط ... لشـاب فى العشرين من العمر ... والذى لا يجرؤ .. ثمة أحد ... سواء من داخل المنزل .. أو من خارجه ... على مناقشته .. أو معارضته ... أو مخالفة أوامره .. مهما كانت ... فأمره نافذ فى الحال ..

ولكن ماذا عن الطبيب .....؟

هل يجرؤ ثمة أحد ..على مخالفته .....

أو مناقشته .....؟

لا أحد يعلم ذلك ..... بحق ....!

فالظاهر أمام الناس ... جميعًا ... أنه ينفذ أوامره ... حرفيًا ... ولا يجرؤ على مجرد مخالفتها ... أو هكذا يبدو الأمر ... أمام الجميع ...

ولكن ماذا عن أقسام هذا .... البيت ....؟

فالقسم الأول .... من هذا .. البيت ...

وهو قسم الاستقبال .....

ويبدو جليًا عقب الدلوف ... إلى البيت من الباب الخارجى ... وهذا القسم بمفرده ....

ينقسم إلى قسمين ... ولكن ليسا منفصلين ...

فالقسم الأول .. وهو .. قسم الاستقبال ... كما سبق .. وقلنا آنفًا ... ويشمل الردهة .. بأثاثها .. متوسط الفخامة .. والذى يجمع .. ما بين .. الذوق العالى .. مع عدم ارتفاع الثمن .. تتوسطهم .. سجادة بنية .. مزركشة .. جميلة .. ولكنها تدل على فخامتها ... وغلو ثمنها ...

فى ذات الوقت ... يوجد فى مواجهـة الداخـل ... ساعة حائط ... عتيقة الطراز ... ولكنها أيضًا فخمـة الشكل ... والثمن ...

على يميـن الداخـل .. توجد غرفة استقبال أخـرى ... وهى أكثر فخامة ... بالطبع ... حيث

Looloo
www.looloolibrary.com

إنها معدة لاستقبال الضيوف ... ذوى الحيثية الخاصة ... على يسار الداخل ... توجد غرفة النوم الخاصة ... بمستر (جون) .... شخصيًا ...

من يمشى مباشرة ... فى مواجهة الداخـل .. مـن باب المنزل ...

وبعد تجاوز قسم الاستقبال العادى ..

فى المواجهة على اليمين ...

توجد طرقة صغيرة لا تتجاوز ثلاثة أمتار .. على يمينها قسم آخر منفصل له باب خارجى ..

من يعبره يجد غرفتين نوم .. عاديتين ...

فى المواجهة ... بجوار بعضهما ..

مخصصتين للخدم .. وهو قسم خاص ...

بجميع الخدم فى المنزل ..

وهذا هو ... القسم الثانى .....

وعلى يسار هذه الطرقة ... دورة مياه متوسطة المساحة للجميع ..

فخمة الطراز .. دائمة النظافة .. بالطبع ....

فى نهاية الطرقة المطبخ .. وهو واسع على نحو ما ....

على يسار الداخل من باب المنزل ... فى حجرة الاستقبال العامة ... توجد .. ستارة جميلة تتناسق مع أثاث هذا القسم ..

هذه الستارة .. تغطى الباب .. الذى يؤدى إلى القسم .. الثالث .. والرابع ..

وبجوار هذه الستارة .. يوجد جرس ... متصل بحبل ممتد إلى غرفة مستر (دانى) ..

بحيث إذا احتاج إلى ثمة شىء ..

من يفتح هذا الباب يجد فى مواجهته سلمًا ...

وبابًا موصدًا .. على يساره ..

من يفتح هذا الباب .. يجد سلمًا آخر ..

السلم الأول .. فى المواجهة ... يؤدى إلى الطابق الثانى ... والذى يوجد به حجرة نوم ... الطبيب (دانى ستيوارت) صاحب المنزل ..

وهى حجرة كبيرة .. واسعة .. بحق ... ذات أثاث جميل .. ملحق بها دورة ميـاه ... وهـذا القسم الثالث .. والرابع .. يتميز ... بأنه لا يجرؤ ثمة أحد ..

سواء كان من داخل .. المنزل .. أو من خارجه ...

على دلوفه .. أو اقتحامه ..

إلا بأذن شخصى .. من مدير المنزل .. مستر (جون آدمز) ..

مهما كانت الظروف ... سيما القسم الرابع .. بالذات ..

فضلاً عن أن الدكتور (دانى ستيوارت) ذاته ... لا يخطو إلى داخل قسم الاستقبال ..

ليس خوفًا من ثمة أحد بصفة عامة ..

أو مستر (جون آدمز) بصفة خاصة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن لأن هذا الأخير ... كان يقوم على كل شئونه ... من أصغر صغيرة .. إلى .. أكبرها ..

بمساعدة جميع الخدم بالطبع ..

أما القسم الرابع :

وهو معقل .. وحصن .. الدكتور .. (دانى) ... والذى لا يجرؤ ثمة أحد على دلوفه بحق .. حتى مدير أعماله ... لا يجرؤ على دلوفه ... إلاَّ بعد استئذانه .. أو أن يطلب الدكتور ... منه ثمة شىء .. فيقوم (جون) ... بتنفيذها له على الفور ...

وهذا القسم الرابع .. هو القبو ..

أى بمعنى أدق .. معمل الدكتور (دانى) الخاص به ... والذى يقضى فيه معظم .. أوقاته ...

وتجاربه .. ليلاً بصفة خاصة ..

والذى يؤدى إلى هذا القبو ... الباب الموصد والذى يوجد على يسار الداخل ..

وهذا الباب له مفتاحان أحدهما ... مع صاحب المنزل (دانى) والآخر مع مديره .. (جون) ..

مع الأخذ فى الاعتبار أنه من الممكن السماح أحياناً ... لأحد الخادمات بالصعود إلى غرفة الطبيب ..... لتنظيفها ...

ولكن من المستحيل ... السماح لأى أحد مهما كان .. أن يخطو داخل معمل الدكتور (دانى) ..

وهذا الأخير .. استحصل على كلية الطب .. ثم استحصل على الدكتوراه ... فى علم التشوهات الخلقية والغير خلقية ... وكيفية معالجتها .. والجمال .. والدمامة ... جينيًا .. ووراثيًا .. وأهم العوامل المؤثرة عليها ... وهو تخصص نادر جدًا .. فى ذلك الحين ..

ولم يكتف .. بما استحصل عليه .. فطاف مرة أخرى ... واستحصل على كلية العلوم بتفوق ..

واستطاع أن يجمع بين الحسنيين ..

محاضرًا فى كلية الطب ... والحصول على كلية العلوم .. فى ذات الوقت ...

وعندما وصل عمره .. إلى الأربعين عامًا ... اكتفى بما وصل .. وحصل عليه ... وقرر اعتزال الدنيا .. والعالم ... من أجل الوصول .. والحصول ... على الشىء الذى كان يسعى إليه منذ البداية .. والذى من أجله قام بكل تلك الدراسات .. والتعلم إلى أقصى درجة ممكنة ... واعتكف فى منزله ... ما بين .. حجرته .. ومعمله ..

وفقد الرغبة فى كل شىء ... فى هذا العالم .. حتى النساء ... واعتزل الأصدقاء .. وتلاميذه .. وصدهم .. حتى أصبح بيته يكاد يكون كالقبر المهجور ..

لا يوجد فيه ثمة أرواح .. إلاَّ الخدم .. ومدير منزله المخلص .. سالف الذكر ..

وأصبح (دانى) فى الخمسين من عمره الآن ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأما عن الخدم .. أبطال هذا البيت ..

فهم على الترتيب ..

(كيم) .. تلك المرأة البدينة المتقلبة المزاج ... وهى الطباخة .. فى هذا البيت ... والمسئولة .. عن كل الأطعمة ... والمشروبات الساخنة .. والبـاردة ... وربما غسـل بعض الأوانى .. والصـحون .. والأكواب ... إذا ما دعت الضرورة لذلك ..

(جيلان) .. تلك الفتاة الوديعـة .. البريئة .. الطيبة ... والمسئولة .. عن جميع أمور النظافة فى هذا البيت ...

ما عدا القسمين .. الثالث.. والرابع .. بالطبع ..

(كريستينا) وهى كانت المسئولة .. عن غسل الأوانى .. والصحون .. والأكواب .. وشراء .. الطلبات .. والحاجيات من السوق ..

ونظرًا لغبائها .. الشديد .. وإهمالها .. ورعونتها ... وسوء شرائها للمشتروات .. وكسرها الدائم لأى شىء تمسكه .. تم طردها من هذا البيت شر طردة ..

وجارى الآن البحث .. عن خادمة جديدة ..

يكون بها .. المواصفات .. المطلوبة ...

* * *

(6) الاستسلام

استطاعت (جين) .. النوم .. أخيرًا .. فى السيارة .. التى تقلها .. إلى ولاية .. (كاليفورنيا) .. وفجأه قام السائق .. بإيقاظها .. حتى أنها قـد شعرت .. أنها لم تنم .. إلاَّ مجرد ثوانٍ .. رغم غروب الشمس .. والليل الذى أسدل ستائره .. على الوجود .. ليجبر الجميع ..

على التعايش فى الظلام ...

إذ استيقظت على صوته وهو يقول :

مس (جين) .. (جين) .. لقد وصلنا ..

وشعرت بألم شديد فى رقبتها .. حيث يبدو أنها قد نامت بطريقة خاطئة .. فقالت له .. وهى ما زالت لم تستجمع قواها .. الجسدية والإدراكية بعد :

أين نحن الآن ..؟

فأجابها السائق على الفور :

نحن الآن أمام منزل مستر (فاريل) ..

ثم استدرك قائلاً :

ولكنى لم أشأ الطرق عليه إلاَّ بعد إيقاظك أولاً ..

فقالت له وقد بدأت فى استجماع قواها :

إذن .. هيا بنا .....

Looloo
www.looloolibrary.com

ونزل الاثنان من السيارة ..

وقـام السائق .. بالطرق على الباب ... وبعد برهة قليلة .. قام مستر (فاريل) ... بفتح الباب بنفسـه .. وعلى وجهه البسـمة ... وعلامات الترحيب .. وكان رجلاً فى بداية العقد السادس ... من العمر قائلاً :

مرحبًا ... مرحبًا ... بك أيتها العزيزة (جين) ..

نحن فى انتظارك ... منـذ ساعات ... ولقـد عزفت عن الخروج ... حتى لا يغضب منى ...

صديقى العزيز .. مستر (روجر) ...

فقالت (جين) ... باسمة :

شكرًا لك .. يا سيدى .....

وهنا قال مستر (فاريل) :

تفضلى يا عزيزتى (جين) .. لشرب الشاى .. والاستراحة من وعثاء .. السفر ..

فأجابته هى على الفور مرة أخرى :

شكرًا لك يا سيدى ، ثم استدركت كلامها قائلة :

ولكن دعنا نذهب إلى بيت مستر (دانى) ... حتى لا نتأخر عليهم أكثر من ذلك ... فأجابها (فاريل) مستدركًا : لكننا لم نتأخر عليهم ... بالفعل يا عزيزتى .....

فقالت له راجية :

أرجوك يا مستر (فاريل) ... هيا بنا ...

فأطاعها هذا الأخير وهو يقول فى استسلام :

كمـا ترين .. يا عزيزتى ... وخـرج هـذا الأخير ... من منزله ... وركب ثلاثتهم السيارة ... ثم قال معاتبًا :

هذا لا يصح ... يا بنيتى ... سيغضب منى مستر (روجر) هكذا ... فأجابته باسمة الثغر :

لا تقلق .. يا مستر (فاريل) ... لن أخبره بثمة شىء ... وسرعان ما وصف (فاريل) ... الطريق ... للسائق ... وفى تلك الأثناء ...

أخبرها (فاريل) .... بالآتى :

يجب أن تعلمى ... أن مدير المنزل ... هو مستر (جون آدامز) ... وهو رجل صعب المراس ... جدًا .... جدًا ... وليس لينًا ... أو سهلاً ... أبدًا ... أبدًا ... وهو ... الآمر ... الحاكم ... الناهى ... فى منزل الطبيب (دانى ستيوارت) ... لذا يجب عليكِ أولاً ... أن تكسبى مستر (جون) ... حتى تأمنى شـره ... وتستطيعى العيش ... والبقـاء ... والنجاة ... فى هذا البيت ... الغريب ... سيما ... وأنه يجب أن تعلمى ...

ـ يا عزيزتى .. أن هذا البيت .. هو من أغرب .. المنازل .. فى ولاية .. كاليفورنيا .. كلها .. فله تقاليد غريبة .. أوجبها .. وفرضها .. مدير المنزل مستر (جون) .. ثم شرع يشرح لها .. كل شىء .. وكل ما يعرفه .. عن هذا البيت ... دون أن يقوم بإخفاء .. ثمة شىء .. عنها ...

ولكن (جين) لم تسأل إلاَّ سؤالاً واحدًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولماذا عزف ... صاحب المنزل ....

مستر (دانى ستيوارت) عن هذه الدنيا ...؟

فأجابها بعدم اهتمام .. وبلا مبالاة :

لا أحد يعلم .. ولا أحد يدرى ... والأهم من ذلك .. أن ذلك لم يعد يشغل أحد ... ولا يهتم به ثمة أحد ..

المهم الآن .. يجب أن تعلمى ... أننى لم أذهب بك .. إلى أى أحد ..

فرغم عيوب .. مثل هذا البيت الظاهرة ... وانعزال مستر (دانى) عن الدنيا ...

فى القسم الثانى ــ الخاص به ــ من منزله .. إلاَّ أن هذا لا ينفى عنهم بصفة عامة ..

ومدير المنزل .. مستر (جون) بصفة خاصة ..

أنك طالما .. لم ترتكبى أية أخطاء ..

فهو يدافع عنك مثل الليث ... مهما حدث فضلاً عن أنه ... يجعلهم يعيشون جو الأسرة ..

فسألته جين :

كلمة .. (مهما حدث) ... تشمل صاحب المنزل مستر (دانى) ..

فأجابها على الفور صاحب المنزل مستر (دانى) :

لا يتدخل نهائيًا .. فى شئون البيت ..

إن كل صغيرة وكبيرة ... يتحكم فيها مديره ... كما قلت لك من قبل .. ولقد تم طرد الفتاة التى كانت قبلك .. بسبب غبائها .. ورعونتها .. وإهمالها .. وسوء تصرفها ..

واستطرد حديثه قائلاً :

ولذلك فأنا أريدك ... أن تشرفينى .. وترفعى .. رأسى ... فالوظائف .. ههنا .. لا تبحث عن الناس ..

وأدركت هى تلميحــه .. ومغــزاه على الفــور .. بأنها يجب أن تحافظ على وظيفتها هــذه .. مهما حــدث ... ومهما كانت الأسباب .. وأنها لو تركت هذه الوظيفة ... فأين تعمل ..

وأين تذهب .. بإمكانياتها هذه ..؟

وهى لا تعرف ولا تتقن ثمة شىء فى هذه الدنيا ... سوى الخدمة فى البيوت .. أو القصور ..

وأخرجها من أفكارها ... صوت مستر (فاريل) ... وهو ينظر إلى فخامة ملابسها ..

ولكن يبدو .. أنك كنت غالية ... وعزيزه جدًا ....

لدى صديقنا العزيز مستر (روجر) .....

فقالت هى بحسرة .. وهى تحاول قهر الدموع الحبيسة فى عينيها :

جدًا .. جدًا .. يا مستر (فاريل) ..

ثم استدركت بذات لهجتها :

Looloo
www.looloolibrary.com

لقد كان مستر (روجر) يعتبرنى ... مـن أفـراد أسرته بالفعل ...

فأمن هو على كلامها :

نعم .. نعم لقـد أوصانى عليك كثيـرًا .. كثيـرًا .. إلى درجة .. لا تتصورينها ..

ولتعلمى .. يا (ابنتى) أن بيتى مفتوح لكِ .. فى أى وقت .. مهما حدث ..

وأخيرًا .. ليس آخرًا .. وصلوا إلى منزل مستر(دانى) .. حيث قال (فاريل) :

ها هو ذا ...

ونزل الجميع من السيارة .. وكان البيت جميلاً .. بالفعل .. من الخارج ..

ولكنها نظرت إلى البيت فى مهابة .. ورهبة .. وخوف ... لم تدر لهما سببًا .. واضحًا ..

ربما لأنها تخطو أولى خطواتها ... نحو هذا البيت الغريب .. فى هذه الولاية البعيدة ..

أو ربما مما سمعته حتى الآن ... عن هذا المنزل الغريب ..

والذى لم تدر له سببًا .. سواء كان عن مدير المنزل .. أم صاحبه ...

وانتزعها من تساؤلاتها ... بأن قامت (جيلان) بفتح الباب آنذاك ..

وهذه الأخيرة تقول فى وداعه :

مرحبًا .. بك .. يا مستر (فاريل) ..

وارتاحت واطمأنت لها (جين) .. منذ الوهلة الأولى ..

أو ربما مما سمعته .. عنها من مستر (فاريل) ..

ثم قالت الخادمة .. فى وداعه :

لحظه واحدة .. ثم اختفت فى الداخل للحظات ..

وهنا مال (فاريل) .. على (جين) هامسًا :

يجب أن تعلمى .. أنه لا يجوز لك مطلقًا ... وبأية حال من الأحوال ... إدخال أى أحد .. أو أى شخص كان ... إلى هذا البيت .. وحتى ولو كانت الشرطه بذاتها ... إلاّ بعد استئذان مدير البيت ...

مستر (جون) .. شخصيًّا .. وأن يسمح هو بذلك ...

ثم أردف محذرًا إياها :

إياك أن تقعى .. فى مثل هذا الخطأ .. يومًا ما ..

وهنا جاء مدير المنزل .. مستر (جون) ... بوجهه الصارم .. وعينيـه الحادة ... وملابسـه الأنيقة .. وقبعته السوداء اللامعة ... واستعجبت من أناقة ملابسه الشديدة ... وتساءلت فى نفسها :

هل صاحب المنزل .. كريمًا إلى هذا الحد ..؟

مرحبًا .. بكم جميعًا .. فى منزلنـا المتواضـع يا مستر (فاريل) ... نطق مستر (جون) بهذه الجملة الترحيبية ..

ثم أفسح لهم جميعًا للدلوف إلى البيت ..

وشرع (جون) ينظر إليها متفحصًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم تقــو هى .. على مواجهة هــذه النظرات .. الحادة .. القوية .. المتفحصة لها ..

وسرعان ما جلس الجميع ... فى غرفة الاستقبال الكبرى ..

وسرعان ما أحضرت (جيلان) .. مشروبًا مثلجًا .. منعشًا .. للجميع ..

وما أن انتهى مستر (فاريل) من تناول مشروبه ... حتى قال هذا الأخير :

موجهًا حديثه إلى مستر (جون) :

هذه هى الفتاة .. التى حدثتك عنها يا عزيزى ..

ثم استطرد وكأنه يروى قصة حياتها :

اسمها الأصلى (جينيفر كولين) ..

ثم استدرك قائلاً :

ولكنها تحب .. أو تعودت على مناداتها .. بـــ (جين) ... وكانت تعمل لدى أعز أصدقائى ...

فى ولاية (لوس أنجلوس) ... مستر (روجر كيدج) ولكن نظرًا .. للظروف الصــعبة ... التى يمر بها .. هــذا الأخير الآن ... والتى أرجو من الرب القدير ... أن ينقذه منها ... المهم .. أن هذه الفتاة (جين) ... كانت تعمل لدى أسرته ..

وكان صديقى يعتبرها .. من أفراد أسرته الصغيرة .. بحق .. ونظر (جون) .. إلى (جين) .. التى وجدها قد تأثرت .. بكلام مستر (فاريل) ..

وهزمتها دموعها على الرغم منها ... وفرت من عينيها ... دمعتان حبيستان ... وعندئذ نظر إليها ... مستر (جون) ... نظرة خاوية .. لا تعبر عن شىء ... فأصابها الخجل آنذاك .. واحمر وجهها .. من شدة الحياء ...

وتصاعدت دقات قلبها .. من شدة الخوف ... والرعب .. من قوة نظراته الحادة .. إليها ...

وكم تمنت الجرى .. والهروب من هذا البيت .. ولكن لم تقو.. قدماها .. على تنفيذ رغبتها .. والانصياع لها ..

ثم إلى أين .. سوف تذهب .....؟؟؟

فى هذه البلدة الغريبة .. أو غيرها ..

سيما وهى لا تعرف ثمة أحد .. وليس لها ثمة ظهر .. أو سند أو عون .. فى هذه الحياة ..

وأخرجها من أفكارها .. مستر (فاريل) وهو يقول :

لذلك ... يا صديقى العزيز ...

أوصيك .. بهذه الفتاة .. خيرًا .. وأرجو من البداية .. أن يكون لها .. مكانة خاصة عندك .. وفى حالة .. ما إذا فعلت ثمة شىء خاطئ .. أو ليس هــذا أو ذاك الشىء على هــواك .. فلا تعاقبها .. أو تقسُ عليها .. ما دامت لا تعرف ... ثم قام بنقل كلمات .. مستر (روجر) .. بالتحديد :

فهذه الفتاة ... بقدر قوتها .... الظاهرية ....

فهى هشة المشاعر ... إلى أقصى درجة ممكنة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

فصوب (جون) .. نظراته الحادة إليها .. مرة أخرى .. ومرة أخرى .. لم تستطع مواجهة هذه النظرات ..

فأطرقت بوجهها أرضًا ..

وقد عاودتها الرغبة .. فى الهروب مرة أخرى ..

فقال (جون) .. وقد وضع قدمًا ... فوق الأخرى ثم وجه حديثه إلى مستر (فاريل) :

لا تقلق .. يا عزيزى ... سيكون لها .. مكانة خاصة .. عندى منذ البداية ..

وهنا وقف هذا الأخير ... ثم اتجه نحو مستر (جون) ... وسلم عليه فى قوة ...

قائلاً فى سعادة :

شكرًا لك .. يا مستر (جون) ..

ثم اتجه .. نحو الباب للانصراف .. ومّعه (جون) لتوديعه .. فقال (فاريل) موجهًا حديثه إلى (جين) :

لا تخذلينى .. أيتها العزيزة (جين) ..

فقالت له باسمة :

لا تقلق يا مستر (فاريل) .. وشكرًا لك على كل شىء ... وانصرف هذا الأخير .. ومعه السائق ..

وحاولت (جين) .. إعطاءه أية نقود ..

ولكنه رفض .. وأبى .. بكل إصرار .. قائلاً :

إنها تعليمات مستر (روجر) ..

وهنا قال مستر (فاريل) .. إلى (جون) :

وهو على عتبة الباب :

هل أعتبرها قد استلمت العمل .. يا عزيزى (جون) ..؟؟ فقال هذا الأخير مازحًا .. باسمًا لأول مرة :

لقد استلمت العمل .. والراتب أيضًا ..

وانصرف السائق .. ومستر (فاريل) ..

وأغلق مستر(جون) الباب ... واستدار بجسده لمواجهتها .. وهو ينظر إليها ... بنظراته الحادة .. ولكن إلى أين تذهب ... أين المفر ..

وأطرقت بوجهها أرضًا .. وقد تراجعت خطوتين إلى الوراء ..

وشعرت .. بأن قلبها .. سيتمزق من شدة الرعب ..

وأنه يكاد يقفز من جسدها ....

بحق .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(7) الطاعة

تعالى معى ..

نطق (جون) بهذه العبارة فى صرامة آمرة ... وتحركت هى معه .. فهى لا تملك الآن ... سوى الانصياع ... لأوامره .. مهما كانت ... فحملت حقيبتها .. الوحيدة ... وانساقت خلفه ... فمنذ هذه اللحظة أصبحت لا تملك .. من أمرها .. شيئًا ... وليس عليها سوى الطاعة ... الطاعة .. العمياء ... فمشت وراءه .. حتى اقتادها .. إلى قسم الخدم .. وشاهدت غرفتها .. وسريرها .. والدولاب الخاص بها ...

ثم أمرها ... فمشت وراءه .. مرة أخرى ... وذلك بعد أن ... تركت حقيبتها .. فى غرفتها ... فقام بتعريفها .. على (كيم) الطباخة .. وكذا (جيلان) ... ثم قال بنفس لهجته الصارمة موجهًا حديثه إلى (جين) :

منذ متى .. وأنت تعملين .. فى هذه الخدمة ...؟

فأجابته على الفور :

منذ الصغر .....

فقال لها فى سعادة غير ظاهرة :

عظيم ... ثم استطرد كلامه :

إذن .. فمن المفترض .. أنكِ تعلمين .. أصول هذا العمل .. جيدًا ... أليس .. كذلك .....؟

ثم استدرك كلامه .. قائلاً :

ولكن لأن لكل بيت .. ظروفه الخاصة ... فسأعتبرك وكأن .. أول يوم لكِ ... معنا ههنا ... فى الخدمة .. بصفة عامة ... وفى هذا البيت ... بصفه خاصة ...

ثم أردف .. وقد استعاد .. صرامته :

أهم شىء ... فى هذا البيت ... الطاعة .. ثم .. الطاعة ...

ثم ... الطاعة ... ثم حسن التصرف .. والأدب .. الأخلاق

(كيم) مسئولة عن الطبخ .. منذ أمد .. بعيد .. وهى بارعة .. فى ذلك ... إلى حد ما ...

لم تعجبها هذه الأخيرة ... هذه العبارة .. الأخيرة ..

فمطت شفتيها .. فى صمت ممزوج .. بالخفاء ... خوفًا .. ورعبًا .. من مستر (جون) ... بينما لم يعرها .. هذا الأخير .. أدنى اهتمام ... وهو يستطرد كلامه :

أما (جيلان) .. فهى مسئولة .. عن أمور النظافة ... فى البيت ... ثم سألها فجأة :

هل تعرفين .. كيف تشترين الطلبات ..

والحاجيات ..؟

فأجابته على الفور :

نعم ...

فقال لها بذات لهجته السابقة :

Looloo
www.looloolibrary.com

عظيم .. ثم استطرد كلامه :

إذن .. ستكونين مسئولة منذ اليوم ... عن شراء الطلبات .. الخاصة بهذا المنزل ..

وستساعدين (جيلان) .. فى بعض الأمور المنزلية أيضًا ..

فقالت هذه الأخيرة على الفور فى فرح طفولى ...

شكرًا .. لك يا مستر (جون) ....

فنظر إليها نظرة حارقة ...

جعلها تبتر سعادتها .. وعبارتها معًا ...

وتطأطئ .. برأسها أرضًا .. فى خجل ... وهى لا تستطيع التفوه بأدنى حرف مرة أخرى ...

ثم قال بلهجته الصارمة الآمرة :

(كيم) .. العشاء ... ثم انصرف كالريح ... متجهًا .. إلى غرفته ... وتركهن سويًا .. فقالت (جين) .. فى وداعة :

هل هناك ثمة شىء يجب على عمله الآن ..؟

فقالت (كيم) فى لهجة آمرة :

بالطبع .. هناك بعض الأوانى والأطباق .. يجب عليك .. غسلها .. هيا ..

فقالت (جين) فى طاعة عمياء :

حاضر ...

وهنا قالت (جيلان) .. فى غضب :

(كيم) .. إنى أحذرك .. إننا هنا كلنا سواسية ..

فنظرت إليها هذه الأخيرة .. فى ازدراء ..

ولم تعرها .. أدنى اهتمام ... وانصرفت كل واحدة منهن إلى عملها ... فى صمت .. مطبق ..

* * *

فى تلك الأثناء كان المأمور (هاريسون) .. يقوم بالنداء على رجاله ... والذين اختارهم بعناية لهذه المهمة الخطيرة :

(بـــول) .. (باتريك) .. (كارل) ..

(كريس) .. (ديريك) .. (مارك) .....

وبالطبع أجاب كل منهم حسبما .. تقتضى أصول العمل بذلك ..

فقال (هاريسون) فى صرامة ..

وهو يجول ببصره بين رجاله الستة :

بالطبع لن أعيد شرح كل ما قلته سابقًا من قبل ..

أريدكم أن تكونوا سويًا .. دائمًا ... وألا يفترق أحدكم عن الآخر أبدًا .. مهما حدثت الظروف .. حتى لا ينفرد ذلك الكائن بأحدكم .. أبدًا ..

هل هذا مفهوم ..؟

فأجابوا جميعًا .. فى نفس واحد .. مفهوم

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال (بول) رئيس المجموعة وأكثرهم خبرة وحنكة :

أليس كان من الأفضل ... إخطار الجيش بذلك ..؟

لتساعدنا على الأقل ... فى هذه المهمة الخطيرة ..

فأجابه (هاريسون) على الفور :

هل سنقوم بإخطار الجيش ..؟ لأن كائنًا ما قام بقتل بعض الكلاب .. والماشية ..

فقال (بول) :

وهل سننتظر حتى يقوم بالهجوم عـ .....؟

فقاطعه (هاريسون) فى صرامة :

(بول) .. التـزم بالتعليمات .. وسنجد ما يستجد مـن أمـور .. وسنتصرف عقب ذلك .. بعدها ... حسبما تقتضى القواعد .. والأصول ...

فربما ترك هـذا الكائن المكان ... ولن يعود إليـه مرة أخرى .. ثم استطرد قائلاً :

المهم .. كما أخبرتكم من قبل ... لا تقوموا باستفزاز .. هذا الكائن .. مهما حدث ... ولا تدخلوا .. فى مواجهة .. مباشرة معه مهما حدث ... ولا تنسوا .. أن كل واحد منكم ... مزود بكاميرا .. لالتقاط ولو صورة واحدة .. له ... إن أمكن ذلك ...

فقال (باتريك) الثانى .. فى الترتيب :

معذرة .. أيها الرئيس .. ولكن ألم يكن من الأفضل .. الاستعانة بقوات الصيد .. البيطرية .. وذلك لنصب الشباك .. له على .. الأشجار .. والأفخاخ اللازمة له .. على الأرض .. لمساعدتنا على الأقل فى صيده .. أو قتله ..؟

فقال (هاريسون) .. وقد نفذ صبره صارخًا :

بل الأفضـل ... أن يأتى أحدكم .. ليجلس مكانى ... ويصـدر هـو الأوامر ... بدلاً منى ...

وننفذ له ... كل ما يراه هو .. صحيحًا .. أو مناسبًا فزمت كل واحد منهم .. شفتيه ... وقد التزموا جميعًا ... الصمت التام ... وهنا قال لهم (هاريسون) بلهجة آمرة :

انصراف .. فانصرف الجميع على الفور .. على غير رضا .. وهم جميعًا .. ساخطون .. من عصبية .. وتصرف رئيسهم .. هذا .. حتى أنهم قد شعروا جميعًا .. وكأنه يلقى بهم إلى التهلكة .. أو كأنه يريد التخلص منهم أجمعين .. وهم أفضل رجاله على الإطلاق ..

وحاروا جميعًا ... من تصرف رئيسهم هـذا ... ولم يجـدوا .. سببًا .. أو تفسيرًا .. مناسبًا لذلك ... أبدًا ... أما رئيسهم ... نفسـه .. فقد استعجب ... بحـق ... مـن تصرفه .. معهم هكذا بالفعـل .... ولكنه كان يشعر ... بأن الأمـر لم يكن .... يقتصر .. على مجرد كائن ما ... أو حتى مجرد .. حيـوان ما ... فقـد كان يشعر بأن هـذه التصرفات ... وهذا الذكاء ... وهذه الآثار ... ليست حيوانية ... وإنما يشعر وكأنها بشرية ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أو على الأقل .. جزء منها كذلك .. وهذا الشعور كان يخيفه .. وبقوة .. بل إلى أقصى حد ممكن ... ولكن شعوره هذا ... لم يتجاوز قلبه ..... وصدره ..... أبدًا .....

* * *

فى تلك الأثناء ... أيضًا ... كان (إيدى) ... يأمر رجاله باجتثاث كل الأشجار ... التى حول مزرعته ... وماشيته ... على مسافة نصف كيلومتر ... تقريبًا على الأقل ... حتى يستطيع كشف .. أى شىء .. مهما كان ... يفكر فى الاقتراب .. من مزرعته .. أو ماشيته ... والحق يقال .. لقد أطاع الرجال ... كل الأوامر الصادرة إليهم ... بمنتهى الرضا .. والإخلاص ... بل لقد كانوا .. فى منتهى القوة .. والنشاط .. أيضًا ... بينما .. هو كان يدور هنا وهناك ... مثل الليث .. يحفز الرجال .. ويقوى عزائمهم ... ويؤازرهم ويساندهم .. ويساعدهم ... إن أمكن ... وهو ما زال .. يدور .. ويدور .. حول مزرعته ... وطوال الوقت .. كان ينظر إلى الأعلى ... وكأنه كان ينتظر الهجوم ... القادم من الأعلى ... فى أى وقت ... وكان يقبض على بندقيته ... فى منتهى القوة ... وكأنه كان يناشد ... هذا الكائن اللعين ... للظهور .. بأى ثمن ... فقد كان مثل الليث الجريح ... يريد ويشتهى .. الانتقام بأى ثمن ... وأخذ ثأره .. لوطء عرينه ... وقتل أطفاله ... ولكنه كان .. ينتظر ... وينتظر ....

بمنتهى ..... الصبر .....

والهدوء .....

* * *

وصل الرجال جميعًا .. إلى الغابة ... وكان الظلام يغطى .. كل شىء ...

وهنا قال (بول) ... القائد :

ما رأيك يا (باتريك) .....؟

أعتقد أن كلام الرئيس ... لن يصلح ههنا ....

فسأله هذا الأخير دون أن يفهم ما هو قصد قائده :

وكيف ... ذلك ....؟

فأجابه (بول) فى سرعة :

أعتقد أنه يجب أن ننقسم ... إلى مجموعتين ....

كل مجموعة ... تتكون من ثلاثة أشخاص ....

وذلك حتى .. نستطيع تغطية .. ولو .. ربع .. هذه الغابة اللعينة .. حتى يظهر .. هذا الوغد .. ونتمكن من التخلص منه .. بحق السماء ...

فقال (باتريك) بدون تفكير :

أعتقد أن كلامك .. صحيح ... يا (بول) .....

فاعترض (مارك) .. أصغرهم رتبة .. وسنًا .. قائلاً :

ولكن الرئيس قال .....

فقاطعه (بول) على الفور :

لن نخبر الرئيس ... بأى شىء ... حتى ينتهى هذا الأمر ... هل هذا مفهوم ....؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم أردف .. هذا الأخير كلامه ... وذلك حتى يتملص من المسئولية .. فيما بعد :

وعلى العموم .. يا (مارك) ... فلنأخذ رأى .. الجميع ... فرفع الجميع يده إلاَّ هو ... فاضطر هذا الأخير .. لرفع يده مجبرًا ... وهو يقول :

اللعنة .....

وسرعان ما .. أشار (بول) .. لـ (باتريك) .. بأن يتجه صوب .. مزرعة مستر (إيدى) .. ويقوم بتمشيط المنطقة .. كلها وحولها .. ثم يعود إلى نفس .. المنطقة .. وسيقوم .. هو بتمشيط .. المنطقة .. المقابلة .. وما حولها .. وسيكون .. الجهاز اللاسلكى .. هو .. الوسيط .. فيما بينهم .. ليعودا للالتقاء .. من جديد .. فى نفس المنطقة .. مرة أخرى ..

وبينما يقوم كل واحد .. منهم .. بإعداد نفسه .. ومعداته .. وسلاحه .. وبطاريته .. إذ شرعت الأمطار .. تنهمر فى غزارة .. وعصفت السماء .. وهزم الرعد ... ورفع الجميع ..

رءوسهم إلى السماء ... وهم يقولون جميعًا ..

فى نفس واحد :

اللعنة .....

فقال (مارك) ساخطًا :

لم يكن ينقصنا ... سوى هذا .....

أن نسير بسراويلنا .. مبللة .. وشرع الجميع .. يضحكون .. بلا استثناء .. فاضطر فى النهاية .. إلى مشاركتهم الضحك .. وشرعوا يضحكون .. ويضحكون .. ويضحكون ..

وعلى الجانب الآخر ... فقد كان الرجال ... لدى مستر (إيدى) ... فى غاية السعادة ... بهذه الأمطار ... المنهمرة .. واعتبروها فألاً حسنًا ... إلاَّ هو ... فقد أدرك .. أنه بنزول هذه الأمطار ... فإن هذا الكائن ... ربما لن يظهر اليوم .....

أبدًا ..... أبدًا .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(8) الرضـــا

سرعان ما انتهت (كيم) .. من تحضير العشاء ... فلم يكن (دانى) .. صـــاحب المنزل .. يأكل كثيـــرًا .. والذى اعتاد الجميع .. على مواعيد معينة ... لتجهيز الطعام له ...

فلم يكن يأكل ... إلاَّ قليلاً ... نصفه أو ربما .. ربعه ... وربما أقل من ذلك .. بكثير ...

المهم .. فقد قامت (كيم) بتحضير الطعام ..

ثم دقت الجرس الخاص بالطعـــام ... إلى مستر(جـــون) .. مـــرة واحدة ... دلالة وعلامة له .. على الانتهاء منه ... وذلك فى الساعة الحادية عشر والنصف مساءً .. بالضبط . ... وهنا همست (جيلان) فى أذن (جين) فى حسرة :

يا لحسن حظك ! ستذهبين .. وتصعدين إليه ... وتشاهدينه ... فقالت (كيم) دون أن تنظر إليهن ... أو حتى تدنو منها أدنى التفاتة :

أعلم .. يا (جيلان) .. ماذا قلت ...؟

فأجابتها .. (جيلان) :

ليس هذا من شأنك أيتها .....

وهنا حضر مستر (جون) ... فبترت (جيلان) عبارتها على الفور ... وانتفض الجميع لرؤياه .. ما عدا (جين) ... والتى كانت توليه ظهرها آنذاك ...

فقال (جون) .. بلهجة مرعبة ... جفت لها الدماء فى عروقهـــن .. ما عـــدا (جين) بالطبع .. فهى لم تفعل ثمة شىء ...

هل هناك ثمة شىء .. أيتها السيدات ..؟

فنطقت (جيلان) .. و(كيم) .. فى نفس واحد ..

والرعب يقطر من حروفهن .. وكلتاهما مطأطئتا الرأس .. وتنظران إلى الأسفل ولا تقويان على رفع الرأس إليه .. والنظر إلى عينيه الناريتين :

كلا يا سيدى .. لا يوجد ثمة شىء ...

وكالمعتاد .. لم يشعر به ثمة أحد عندما حضر .. وكأنه يمشى على الهواء .. لا على الأرض .. أو ربما لأن الأرض كلها مفروشة بالسجاد ..

وسرعان ما حملت (جين) صينية الطعام ... عندما أمرها (جون) بذلك ... ثم قال بذات لهجته :

تعالى معى .....

فسارت خلفه فى طاعة عمياء ... حتى وصلت إلى الباب الذى به القسمان الثالث والرابع ... والذى يفصل بين القسم الأول والثانى ..

حيث أزاح (جون) الستارة فى هدوء ..

ثم فتح لها الباب .. بكل هدوء .. فلم يكن الباب موصدًا بالمفتاح ... كما اعتقدت فى البداية ...

وجعلها تعبر هى أولاً ...

ولفت نظرها الباب الذى على اليسار .. والذى يؤدى إلى المعمل ... ولكنها لم تكن تعلم ذلك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وندت منها نظرة سريعة إليه ..

ولكنها لم تقف .. وصعدت .. درجات السلم ... المؤدى إلى الطابق الثانى ... وخلفها مستر (جون) .. وفى نفسها ... بدأت تنمو بذرة شك صغيرة ... بدأت تكبر فى هدوء حيث شرعت تتساءل فى نفسها ...

لماذا كل هذا .....؟

ما كل هذه الأبواب .....؟

لماذا تشعر بأن هذا البيت .. هو بيت غير عادى ..؟ على عكس كل البيوت التى عملت واشتغلت بها ..؟

لماذا الباب الذى يؤدى إلى هذا القسم ....

مغطى بهذه الستارة ....؟

لماذا الباب .. ليس موصدًا .....؟

ما دام صاحب البيت .. لا يريد ثمة أحد ..

ويبدو أنه لا يريد مقابلة ثمة أحد .. بالتأكيد إن فى الأمر سرًا ما .. كانت هذه التساؤلات تدور فى نفسها .. وهى ما تزال لا تعلم عن هذا البيت كل شىء .. إلاّ الذى سمعته من مستر (فاريل) وأخيرًا .. وليس آخرًا .. وصلا .. إلى باب غرفة .. مستر (دانى) .. وطرق (جون) باب الغرفة .. ثلاث طرقات .. متتالية .. فقط ..

وكأنها سفرة خاصة ... فيما بينهما ... وبعد حوالى دقيقة .. أو أكثر ... من الانتظار .. فتح (دانى) .. الباب ... وكان يبدو على وجهه الإرهاق الشديد .. كمن بذل جهدًا غير عادى .. لكى يفتح باب

الغرفة .. وأفسح لهما مجالاً للدلوف .. على الفور .. ولاحظت هى على الفور .. بأن الغرفة مرتبة .. ومنظمة .. ونظيفة للغاية .. بل وشديدة الأناقة .. والفخامة .. على الرغم من أنه لا يوجد ثمة أحد .. من الخدم يصعد إلى هذه الغرفة نهائيًا ...

ولكنها طرحت تساؤلاتها ... جانبًا ... ولفت نظرها أيضًا المكتبة .. الفاخرة ... والتى تعج بجميع أنواع الكتب تقريبًا ... وأمرها مستر (جون) .. بوضع صينية الطعام ... على المكتب الخاص به .. والذى كان يوجد عليه .. الكثير من الكتب .. والأوراق ... والأقلام ... ولكن بطريقة منظمة ... أيضًا ... وكان هذا المكتب .. أسفل الشباك المغلق ... وبجوار هذا الشباك المغلق ... شرفة مغلقة ... أيضًا ..

وجلس (دانى) .. على الكرسى .. الهزاز الخاص به ... والذى يوجد فيما بين السرير الخاص به ... والشباك ... وتحدث (دانى) .. أخيرًا ..... وهو يقول فى هدوء :

شكرًا لك يا (جون) ثم أردف بذات لهجته الهادئة :

انصرف أنت الآن .....

وسرعان ما قام هذا الأخير ... بتنفيذ هذا الأمر على الفور ... وانصرف .. وأغلق باب الغرفة خلفه فى هدوء ... واستعجبت هى أنها لم تسمع ... صوت خطوات (جون) حال صعوده معها .. أو حتى بعد انصرافه .. من الغرفة ..

ولكنها طرحت تعجبها جانبًا ... فقد أصبحت هى .. وهو فى الغرفة بمفردهما ... وطفق الخوف .. والرعشة تسرى فى أوصالها ... فهذه هى

Looloo www.looloolibrary.com

أول مرة ... تصبح فيها وحيدة .. وبمفردها ... فى غرفة مغلقة مع شخص غريب ..

ولكنها أخذت نفسًا عميقًا قويًا ... لتقاوم رغبتها فى الهروب ... وندت منها نظرة سريعة نحو باب الغرفة ... وهى تفكر .. فى تنفيذ .. ما يدور بخلدها ... ورفعت رأسها أخيرًا .. لتنظر إليه ... وخلبها جماله منذ الوهلة الأولى ... فقد كان هذا الأخير .. جميل الوجه .. بحق ... خط الشيب فوديه .. شعره بنى ناعم ... ليس كثيفًا .. لم يكن حليق الوجه تمامًا ... ولكن يبدو .. أنه قد قام بحلاقة شعر وجهه .. منذ يوم .. أو يومان .. يتخلله شعر قليل أبيض .. يدل على أنه يسبح .. فى العقد الخامس من عمره .. بحق .. كانت عيناه زرقاوين .. بلون مياه البحر .. فى صيف هادئ ممتع بلا أمواج ... ذا شفتين جميلتين .. لونهما يميل إلى الحمرة .. وبشدة .. مثل حبتين من الفراولة .. شعر رأسه .. وحاجبيه .. ولحيته بلون واحد .. هو اللون البنى .. ذو وجه أبيض مشرب بالحمرة ... وذقن غير مدبب .. باختصار لقد كان جميلاً .. مليحًا .. بحق ..

والغريب .. والعجيب .. أن قلبها .. قد دق لمحياه .. ولم تدر .. هى كيف حدث هذا .. ولماذا ..؟

واستعجبت من نفسها .. وقلبها ....!

أنى حدث هذا ..... ولماذا ..؟

ولكن هذا ما حدث ... ولم تكن تدرى .. فى هذه اللحظة ... أنه هو أيضًا .. كان يتأملها ... ويتأمل .. رقة ملامحها .. وجمالها .. ولكن ... ودون أن تشعر هى بذلك ...

فقد كانت ذات شعر طويل .. بنى جميل ... يتخلله بعض الخصلات الشقراء ... ذات حاجبين شقراوين .. رفيعين ..

وكأن رسامًا عظيمًا .. قد رسمهما ... بهذه الدقة .. وهذه الروعة ... وعينين واسعتين ... ذات لون بنى أيضًا ..

لم تكن شديدة البياض مثله ... بل كانت بيضاء .. ولكن ليس بنفس نقاء بياضه ..

ذات شفتين جميلتين .. تميل إلى اللون الوردى ... ولكن ليس بنفس جمال شفتيه .. هو بحق ...

واطمأن .. هو إليها .. منذ الوهلة الأولى ... دون أن يدرى لذلك سببًا واضحًا ... ولكنه تجاهل كل ذلك ... ثم شرع يتحدث معها من باب كسر جدر الصمت ... الذى يملأ أرجاء هذه الغرفة اللعينة .. التى أصبحت بمثابة السجن الحقيقى له بالفعل ...

منذ زمن طويل .. جدًا ...

فقال لها :

كيف حالك ...؟

فأجابته على الفور وقد عادت تنظر إلى أسفل ...

وهى تجيب فى أدب جم ... اكتسبته طوال فترة عملها .. وخدمتها فى المنازل :

بخير والحمد لله .. يا سيدى .. شكرًا لك على سؤالك ... وتمنت بأن لا يكون قد لاحظ غرامها به ... منذ الوهلة الأولى .. ولاحظت آنذاك ... بأنه كان يمسك كتابًا فى يديه ... وكان يطوى الكتاب .. ويضع أحد

www.looloolibrary.com

أصابعه ... بين أحد صفحاته بالتحديد ... خشية فقدان هذه الصفحة ... فسألها مرة أخرى ..

ما اسمك ..؟

فأجابته على الفور :

(جينيفر كولين) .. يا سيدى ...

وسرعان ما أحضر هو أحد الأقلام ... من فوق مكتبه .. وقام بوضعه فى هذا الكتاب ... بين أحد صفحاته .. خشية ضياع هذه الصفحة ..

وأدركت .. هى .. أن هـذا الكتـاب به شيئًا مهمًا ... ولكنها لم تشغل بالها ... بما يعنيه ذلك بالنسبة له ... وما يحويه ذلك الكتاب .. أيضًا ..

وأمرها بإحضار الكرسى المخصص للطعام ... والذى يوجد بجوار .. الشرفة المغلقة ... فأطاعته على الفور ... واعتدل هو فى جلسته لتناول الطعام ... واندفعت هى فى سرعة .. لتضع فوطة الطعام ... حول رقبته فى هدوء ... وهى تربطها له فى حنان ... وتنساب هذه الفوطة على صدره ..

واستعجبت هى آنذاك ... حيـث كانت هـذه الفـوطة ... سوداء ..!!!

وأدركت هى بأن هذا البيت ... به أشياء كثيرة مختلفة ... عن أى من البيوت التى اشتغلت بها من قبل ...

فمعظم فوط الطعام .. كانت تحمل لونًا مختلفًا ... عن اللون الأسود .. فى ذلك الوقت ..

وتساءلت فى نفسها ... ماذا ستشاهد أيضًا ..؟

فى هذا البيت الغريب ...

وانتزعها من تساؤلاتها سؤاله لها :

من أين أنت يا (جينيفر) ..؟

وقد شرع فى تناول الحساء الساخن .. آنذاك ..

فأجابته على الفور :

من ولاية (لوس أنجلوس) .. يا سيدى ....

ثم أردفـت كلامها .. بذات لهجتها المعتـادة .. أرجـو أن تنادينى بـ (جين) .. يا سيدى ..

ثم أردفت فى أدب جم :

إن لم يضايقك هذا .....

فسألها مرة أخرى قائلاً :

هل خرجت خارج ولاية (لوس أنجلوس) .. من قبل ..؟

فأجابته على الفور :

كلا يا سيدى .. هذه هى أول مرة ...

فقال لها فى هدوء :

حدثينى عن أفضل البيوت التى اشتغلت بها ...

وشعرت بالراحة فيها .. لدرجة أنك قد شعرت بأنه مثل بيتك بحق ... وأكثرها طولاً من حيث الفترة .. بالطبع ....

Looloo www.looloolibrary.com

فطفقت تروى .. وتروى .. له .. عن بيت مستر (روجر) .. وأسرة هذا الأخير ..

والحنان .. والأدب .. وحسن المعاملة ..

التى تلقتها فى هذا البيت الجميل .. والرعاية .. وجو الأسرة .. والاحتواء .. التى شعرت بها فى هذا البيت الطيب .. بينما هو .. كان يستمع إليها .. ويتناول طعامه .. فى هدوء .. شديد .....

* * *

فى تلك الأثنـاء كـان مستر (جـون) ... يتناول قدحًا من الحليب الساخن .. كالمعتاد .. فى هذا الميعاد .. فى الاستقبال ..

وأدرك هـذا الأخيـر ... بأن (جيـن) قـد استغرقت وقتًا أكثر من المعتاد ... على عكس .. كل الخادمات السابقات ... واللاتى سبق لهن العمل فى هذا البيت من قبل ... وكان هذا لا يعنى إلاَّ شيئًا واحدًا ... بأن هذه الفتاة .. قد نالت الرضا والاستحسان ...

وكم كانت فرحته .. وسعادته بذلك ...

وكانت (جيلان) تجىء .. وتروح .. وتغلى .. وتفور ... وتفرك يديها فى عصبية .. وغيرة واضحتين ...

وهى تقول بلهجة تموج بالغضب :

لقد قلت لكِ .. لقد قلت لكِ يا (كيم) .. بأن هذه الفتاة .. ليست سهلة .. ليست سهلة أبدًا ... انظرى .. منذ متى .. وهى عنده .....؟

فقالت (كيم) بلهجة خافتة :

اهدئى يا (جيلان) .. أرجوكِ .. اهدئى ..

لو سمعك .. مستر (جون) ... سيطردنا .. شر طردة ... ولن يكون مصيرنا بأفضل ... من مصير (باربرا) .. و(براين) ... فكلتاهما كانت أجمل من الأخرى ... ولا يشق لهما غبار فى كل الأعمال المنزلية ... وغيرها .. ومع ذلك لم يرحمهما مستر (جون) ... من أجل أشياء صغيرة جدًا أقل من ذلك ..

ثم أردفت كلامها فى توسل :

أرجوكِ يا (جيلان) .. لا تتسببى فى طردنا ..

وهنا أفلتت الأمور من (جيلان) ... فقالت فى عصبية شديدة :

كلا .. إن هذه الفتاة ليست سهلة .. ويجب أن يكون هناك أسلوب آخر فى .....

وبترت عبارتها .. وارتجفت بشدة ... من أخمص قدميها .. ووجدت مستر (جون) أمامها ... وعلى وجهه ترتسم أقسى نظرات العبوس .. والغضب معًا ... واقفًا على عتبة باب المطبخ ..

فقالت (جيلان) .. دون أن تدرى ... ودموع الرعب قد وصلت إلى كلتا عينيها بحق :

أنا آسفة يا مستر (جون) ...

فقال لها هذا الأخير .. بلهجته الصارمة الحازمة :

لو تعرضت إحداكن .. لـ (جين) .. أو اشتكت هذه الأخيرة منكن .. أو إحداكن .. فلن يكون مصيرها الطرد فقط ...

واستدرك قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكنى أقسم لَكُنَّ .. بأنى سأقتلها بيدى ... قبل خروجها من هذا البيت ...

وانصرف هذا الأخير كالعاصفة ... وقد تركهن ... عبارة عن ... أشلاء ممزقة .....

من شدة الرعب .....

* * *

(9) الهـــــروب

وصل (باتريك) .. وبصحبته زميليه .. (كريس) و(ديريك) .. إلى مزرعة مستر (إيدى) .. وشاهدوا .. ما يفعله الرجال آنذاك .. وفرح الرجال .. واطمأنوا لوجودهم حولهم .. حيث شعروا .. بأن الموضوع .. قد أصبح فى اهتمام الشرطة آنذاك .. وتقابل مستر (إيدى) معهم وهو يقول فى سعادة :

ــ مرحبًا بكم .. فى مزرعتى المتواضعة ..

فرفع (باتريك) يده .. وهو يرد التحية قائلاً :

ــ مرحبًا بك .. أنت يا مستر (إيدى) ....

ثم أردف قائلاً :

ــ هل من أخبار عن مستر (توم) ...؟

فأجابه (إيدى) فى سرعة :

كلا .....

ثم استدرك قائلاً :

ــ ولكننى أعتقد أنه ربما سيعود غدًا .. أو بعد الغد على الأكثر .....

ثم أردف كلامه قائلاً :

ــ هل تعتقد بأن هذا الكائن سوف يظهر

Looloo
www.looloolibrary.com

فى هذه الليلة الليلاء الممطرة ..؟؟

فأجابه (باتريك) على الفور :

ــ نحن فى انتظاره .. على أحر من الجمر .

فقال (كريس) فى مرح : بل نتوق إلى لقائه ..

فقال (باتريك) .. وذلك بعد أن أخرج جهازًا لاسلكيًا من جيب سترته :

ــ لقد أحضرت إليك هذا الجهاز .. فى حال حدوث ثمة شىء .. فى الجوار .

ثم أردف قائلاً :

ــ بالمناسبة .. قطع الأشجار المحيطة .... بالمزرعة عمل جيد .. بل هى فكرة عبقرية .

فقال (ديريك) :

ولكن هل تعتقد يا مستر (إيدى) بأن قطع الأشجار .. كافٍ لصد ... ومنع هذا الكائن .

فأجابه (إيدى) بدون تفكير :

ــ كلا إنه ليس كافيًا .

ثم أردف قائلاً :

ــ ولكنها محاولة لكشفه على الأقل .

فقال (باتريك) :

ــ أتمنى لكم التوفيق يا مستر (إيدى) .

فقال هذا الأخير:

ــ وأنا أيضًا .

وتبادلوا التحية .. وعاد (باتريك) .. ورفاقه إلى داخل الغابة .. واختفوا فى ظلامها .. وبين أشجارها ... بينما (إيدى) كان يتابعهم فى ترقب .. فاقترب (ريتشارد) منه قائلاً :

ــ هل هناك شىء أيها الرئيس ؟

فقال (إيدى) فى حيرة :

ــ أتساءل فى نفسى .. هل هذا الكائن ... ولأنه قتل مجموعة من الكلاب .. والماشية .. يستحق منا كل هذا الاهتمام ..؟

ثم نظر فى شرود إلى لا شىء .. وهو ما زال يكرر فى هدوء :

ــ هل ؟

وترك الأيام لتجيب عن ذلك ..

* * *

على الجانب الآخر كان (مارك) .. يقول فى تذمر شديد :

ــ اللعنة .. لقد مرت أكثر من ساعتين .. على وجودنا فى هذه الغابة اللعينة .. وهذا المطر اللعين .. المنهمر بغزارة .. وكأنه يروى صحراء جافة .. وليست مجرد غابة عادية .

فقال (بول) مداعبًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ إننى لا أتمنى الآن .. سوى شيء واحد ..

ثم أردف قائلاً فى سخرية :

ــ أن أراك فى مواجهة هذا الكائن بمفردك وجهًا .. لوجه ..

ثم انفجر (بول) ضاحكًا .. وضحك .. معه (كارل) .. وهذا الأخير يقول :

ــ أعتقد أن هذا الكائن .. سوف يتبول على نفسه أيها الرئيس...، وانفجر الاثنان يضحكان .. ويضحكان ..

فقال لهما (مارك) ضاحكًا :

ــ اللعنة عليكما .. لقد تذكرت ..

ثم انصرف .. خلف أحد الأشجار .. ليقضى حاجته .. وفى تلك الأثناء .. تناهى إلى سمعه .. صوت حفيف الأشجار .. وكان يرتعد فى داخله .. خشية أن يخرج له ذلك الكائن .. بحق .. وهو فى هذه الحالة .. وكم تمنى أن ينادى على أحد زميليه .. ليكون معه آنذاك .. ولكنه لم يستطع .. وسرعان ما قام طائر ما .. بالطيران .. من فرع الشجرة الذى فوق .. وارتجف (مارك) إلى أقصى درجة .. من شدة الرعب .. لدرجة أنه قد أساء إلى نفسه .. وهو يقضى حاجته .. وأخرج سلاحه .. وكان على وشك الإطلاق .. ولكنه أمسك نفسه فى آخر لحظة ..

وهو يقول فى نفسه كلمته المعتادة :

ــ اللعنــة .

وانتابه فى هذه اللحظة شعور .. غريب ... وكأنما هناك .. ثمة أحد يقوم بمراقبته .. فقام بالانتهاء على الفور .. وكل خلية فى جسدة ترتعد .. وتنتفض بشدة .. وشرع يغلق .. حزام بنطاله فى سرعة .. وهو يولى ظهره للشجرة .. التى كان بجوارها منذ لحظات .. وفى تلك الأثناء وعلى حين غرة .. إذا بحركة عنيفة فى الشجرة من خلفه .. وقبل أن يلتفت ليشاهد ما يحدث .. فإذا بالكائن يضربه .. بقدمه فى كتفه الأيمن .. ضربة شديدة قوية .. ماهرة إلى أقصى حد .. ليطير (مارك) .. معها من قوة هذه الضربة .. حوالى مترين فى الهواء .. ليسقط هذا الأخير على الأرض .. فى عنف ممزوج بالقوة .. إلاَّ أن هذا الأخير قــد نهض مسرعًا ... وسرعان ما تجاهل آلامه ... وما حاق به وما أصابه ... وشرح يلملم شتات نفسه ... واستدار وقد أمسك سلاحه .. الذى سقط منه مع عنف هذه الضربة .. ولكن هيهات .. لقد كان هذا الكائن قد اختفى تمامًا .. فقد كان هذا الكائن قد قفز .. وتجاوز ربما العشرون شجرة على الأقل ..

ولم يعد (مارك) يسمع سوى صوت .. حفيف الأشجار .. وصــوت قفزات الكائن .. القادمة من بعيد .. ولكن هذا لم يمنعه .. من إطلاق الأعيرة النارية .. صوب الصوت .. القادم منه .. اتجاه قفز الكائن على الأشجار .. وسمع زميليه سالفى الذكر .. صوت إطلاق الأعيرة النارية .. وكانا إلى جواره فى خلال لحظات .. وشرعا يطلقان الأعيرة النارية .. وهما يشاهدان هذا الكائن .. وهو يبتعد .. ويقفز كالقردة من شجرة لأخرى .. ولا يوجد ثمة مانع أو حاجز أمامه .. وتردد صدى صوت الأعيرة النارية فى الغابة .. ووصل إلى (باتريك) .. ورفيقيه على الجانب الآخر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فاتصلوا بالجهاز اللاسلكى .. على الفور .. بصديقه (بول) .. والذى لم يجب على الفور .. لانشغاله بإطلاق الأعيرة النارية .. هو وزميله آنذاك .. ولكن عندما أدركوا .. من أنه لا فائدة من إطلاق الأعيرة النارية .. والتفريط فيها بهذه الصورة المزرية .. واستجاب (بول) .. أخيرًا .. وتحدث فى اللاسلكى .. وأخبره هذا الأخير بكل ما حدث ..

ثم سأله (بول) :

ــ أين أنت الآن ؟ وما هو اتجاهك .. حال عودتك ؟؟

فأجابه (باتريك) على الفور :

ــ أنا قادم من الشمال .

فقال (بول) :

ــ جميل ونحن نطارده من الجنوب ...

دعنا نحاصره فى المنتصف ..

وتناهى هذا الحوار .. إلى أذنى الكائن .. فقرر معاقبتهما على ذلك .. وعلى الطرف الآخر .. سمع (إيدى) .. هذا الحوار الذى دار بينهما .. فى جهاز اللاسلكى ... ولكنه لم يستطع .. ولم يقـدر .. على فعل ثمة شىء .. إذ إنه قد خاف أن يترك موقعه .. ومزرعته .. فيقوم ذلك الكائن باللف والدوران عن طريق الأشجار .. كما فعل ذلك من قبل .. والانفراد بالمزرعة .. والماشية .. ليعيث فيها فسادًا .. كما فعل آنفًا .. كلا ... صرخ بها فى أعماقه ... لن يترك له الملعب مفتوحًا .. ولن يقع فى هذا

الفخ مرة أخرى .. كالغر .. الساذج .. سينتظره مرة أخرى .. على أحر من الجمر .. ولنرَ من سيربح فى النهاية .. نعم .. من سيربح .

فى تلك اللحظات .. كان كل من المجموعتين ... على شفا الوصول .. إلى ذلك الكائن .. بالطبع فهم لم يشاهدوه .. بل ولم يشاهده ثمة أحد حتى الآن .. حتى عندما ضرب ذلك الكائن (مارك) ... لم يتمكن من مشاهدة وجهه فى الظلام الحالك ... ولكنهم كانوا يشاهدون آثاره .. أثناء قفزه .. من شجرة إلى شجرة .. بكل هدوء .. وكل مجموعة .. تعتقد بأنها تطارد هذا الكائن ... وأن هذا الأخير لا يشعر بها حتى أصبح هذا الأخير فى المنتصف بالضبط .. وعندما شعرت كلتا المجموعتين .. بأنه قد أصبح فى قبضتهم وفى متناول أيديهم .. بينما كان هو ينظر إليهم فى استخفاف .. انطلق هو بأقصى سرعته .. صوب الشرق .. تلاحقه طلقات الرجال كلها .. وقد أطلقوا كل ما بحوزتهم من طلقات صوبه .. وبالطبع لم تصبه ولا طلقة من طلقاتهم .. وتناهى إلى سمعه سبابهم وسخطهم .. وصوت (مارك) بالتحديد وهو يقول كلمته الوحيدة والمعتادة :

ــ اللعنــة .

فقد استطاع الهروب منهم هذه المرة ..

أيضًا ..

* * *

فى تلك الأثناء كان (دانى) قد انتهى من تناول طعام العشاء خاصته .. فقالت (جين) بذات لهجتها باسمة :

ــ أرجو أن يكون الطعام قد أعجبك يا سيدى

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال لها باسمًا لأول مرة منذ دخلت إلى غرفته :

ــ أخبرى (كيم) بأن الطعام كان جيدًا هذه المرة ..

فاقتربت منه لتحمل صينية الطعام .. فأبصر يدها اليسرى .. فأمسكها بدون مقدمات .. وندت منها شقة خافتة .. فهى لم تعتد ذلك .. وما جعله يفعل ذلك .. ليس رغبة منه فى معاكستها أو التحرش بها .. أو كونه اعتاد ذلك .. أو كونه يتلمس النساء .. ولكن ما جعله يفعل ذلك .. آثار .. الجروح الشديدة .. والندبات .. والتى تملأ ظهر يدها اليسرى .. وبصفته طبيب .. شرع يفحص يدها .. بكل دقة وعناية .. وحاولت هى الابتعاد .. فنظر إليها نظرة نارية .. فاستكانت له على الفور .. فقد أدركت أولاً .. ماهية قصده .. وثانيًا .. لا جدوى من المقاومة .. فقد كانت يده فى منتهى القوة .. والصلابة .. حتى إنها خافت من أن تنكسر يدها .. إذا قاومت أكثر من شدة قوته .. وعندما انتهى من فحصها .. ترك يدها فى هدوء ... ثم سألها وقد انقلبت سحنته من شدة الغضب :

ــ من الذى فعل بك .. هذا ..؟

وما سبب ذلك ؟.. ولماذا وكيف .. ومتى ؟

فابتسمت هى قائلة :

ــ هل تريد معرفة كل ذلك ..

منذ أول لقاء بيننا يا سيدى ..؟

فلانت ملامحه قائلة :

ــ أتمنى ذلك .. من فضلك ...

فقالت له مطأطئة الرأس ..

وندى الدموع يلتمع فى عينيها :

ــ إنها ذكريات سيئة جدًا .. يا سيدى ....

ولا أحب تكرارها .. يا سيدى .. أرجوك ..

فقال لها فى جدية :

ــ سأعتبر رفضك إهانة .. وأنا لا أحب الإهانة ..

فقالت له باسمة :

ــ إذن .. سأخبرك فى طعام الإفطار ..

وسألها متظاهرًا بالغضب :

ــ وهل تعتقدين أننى سأنام حتى الصباح ؟

فأجابته باسمة :

ــ يجب عليك .. ذلك يا سيدى .. وحملت الصينية .. واستطاعت التملص .....

والهروب منه مؤقتًا .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(10) الرعب

وقف رجال الشرطة الستة .. برئاسة كل من (بول) و(باتريك) ... ينظر كل منهم إلى الآخر ...

ولم يدر كل منهم ماذا يقول ..؟؟

وقد أدركوا جميعًا بأنهم قد فشلوا فشلاً ذريعًا .. وأدركوا أيضًا بأنهم .. لا يتعاملون مع كائن عادى .. بل هو كائن فوق العادة.. بل ربما يكون كائنًا فريدًا من نوعه .. ولكن الأكيد حتى الآن أن هذا الكائن .. ليس أليفًا .. وربما يكون من أخطر الكائنات .. التى ظهرت حتى الآن .. أو بمعنى أدق .. التى تواجدت حتى الآن .. سيما وأنه لم يظهر بحق ..

بل ولم يشاهده ثمة أحد حتى الآن ..؟

وترى هل هو حريص على ذلك ..؟؟

ترى هل هو حيوان ليلى ..؟

ترى هل هذه طبيعته ..؟

ترى هل هذا دهاء منه بعدم الظهور حتى الآن ..؟

ماذا يبتغى من عدم ظهوره حتى الآن .. ؟

بل ماذا يبتغى من كل هذا ..؟

هل هذا الكائن بمفرده فى الغابة .. ؟

أم أن هناك .. آخرين .. ؟

أين يذهب فى فترة النهار ..؟

لقد ضرب (مارك) .. هل تعمد ذلك ..؟؟

هل تعمد عدم قتله ..؟

هل القتل ليس من طبيعته ..؟

هل عدم قتل (مارك) كان مصادفة ..؟

متى سينتهى كل هذا ..؟

إلى أين .. سينتهى كل هذا ..؟

هل سينجحون فى اصطياده ..؟

أم سينجح هو فى اصطيادهم ..؟

وربما قتلهم حتى آخر .. رجل ...

قطع تسلسل أفكارهم .. صوت مستر (إيدى) ... سائلاً فى لهفة :

ــ ماذا حدث عندكم .. أيها الرجال ..؟

أخبرونى بالله عليكم ..

فأجابه (باتريك) فى غيظ .. على الفور :

ــ لم يحدث شىء يا مستر (إيدى) ..

فسأله (إيدى) بذات لهجته السابقة :

ــ هل .. استطعتم .....

فقاطعه (باتريك) على الفور قائلاً باختصار :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ كلا يا مستر (إيدى) لقد استطاع الهرب ....

ثم أغلق جهـــازه فى قـــوة .. و(بول) ينظر إليه نظرة عتاب ... لأنه لم يخبره بأمر جهاز اللاسلكى ...

ثم قال :

ــ لم تخبرنى بشأن ذلك ..

فاعتذر (باتريك) على الفور .. ثم سأل (بول) .. (مارك) عما حدث .. وكأن شيئًا لم يحدث .. فأجابهم هذا الأخير .. وقص عليهم كل ما حدث .. وأنه لم يتمكن من مشاهدة هذا الكائن .. وهنا قال (بول) :

ــ أعتقـــد أنه يجب علينا العودة الآن .. فلا فائدة .. من وجودنا .. ههنا فى الغابة ..،

ثم أردف فى حديثه قائلاً :

ــ فقد شارفت الشمس .. على الظهور ... ولا أحد يدرى ... متى سيظهر هذا الكائن .. اللعين .. مرة أخرى ؟

فقال (مارك) كلمته المعتادة :

ــ اللعنـــة .

وعادوا جميعًا .. إلى حيث مقر مركز الشرطة .. وهم يجرون أذيال الخيبة .. ولا يفكرون سوى فى شىء واحد .. ماذا سيحدث عقب ذلك ..؟

كيف سيتم اصطياد هذا الكائن ..؟

من سيتمكن من ذلك ..؟

هل سيسقط ثمة قتلى .. من جراء ذلك .. ؟؟

نعم .. هل .. ؟؟

وتعلق هذا السؤال فى سماء الغابة .. ولكنه ظل يطاردهم جميعًا فى إصرار .. بلا استثناء ..

* * *

فوجئت (جين) وهى تفتح الباب ... الذى يفصـــل فيما بين القسمين الثالث والرابع ... والأول والثانى بوجود مستر (جون) فى وجهها .. فارتجفت ارتجافة خفيفة .. كادت تسقط معها صينية الطعام من يدها .. آنذاك .. إلاَّ أنها تماسكت فى اللحظة الأخيرة .. فابتسم لها مستر (جون) وهو يقول لها معتذرًا :

ــ أنا آسف .. لم أقصد إخافتك ..

فقالت له باسمة :

كلا .. لا عليك يا سيدى ..

وأفسح لها الطريق .. واتجهت على الفور .. صوب المطبخ .. ووضعت الصينية ... بدون صـــوت .. تتابعها عيون (كيم) و(جيلان) ... والأخيرة قد أدركت بأن هذه الخادمة اللعينة الجديدة ... قد نالت الرضا .. والاستحسان .. بحق ... بل إن ذلك يعنى شيئًا خطيرًا بالفعل ... وهو أن هذه الخادمة الجديدة ... ستكون المسئولة الأولى .. والأخيرة ... عن كل شئون مستر (دانى) فيما بعد .. وهذا يعنى .. صعودها إليه .. على الدوام .. يا إلهى .. كم تحسدها على ذلك !.. كم تمنت لو تملك القدرة على

www.looloolibrary.com

طردها .. أو حتى قتلها !.. فهى تعشـق مستر (دانى) .. إلى درجة الجنون .. ولكن للأسف .. لم تنل الرضا .. عندما صعدت إليه منذ ثلاث سنوات .. صحيح أنها قد صعدت إليه مرة واحدة فقط ... ولكنها كانت المرة الأولى والأخيرة .. فهى لم تكن تعشم فى أى شىء بالمقابل .. من مستر (دانى) .. فهى تعرف مستواها .. فهى مجرد خادمة .. لا أكثر .. ولكنها لم تكن تتمنى إلاّ أن تكون له كذلك .. فهى لم تطمح إلى غير ذلك .. ولكنها لم تنل الرضا .. ولم تدر السبب فى ذلك .. وتساءلت فى أعماقها وبشدة .. ما سر هذه الخادمة اللعينة .. كيف نالت رضاه .. واستحسانه على الفور .. هكذا ؟ وشرعت (جين) تغسل فى الأوانى .. دون أن تلتفت إلى زميلاتها .. رغم شعورها بنظراتهن نحوها ...

وسرعان ما صعد (جون) إلى (دانى) .. والأول يسأل الثانى فى حنان أبوى باسمًا :

ــ كيف الحال ؟.. أعتقد أنها قد نجحت ..

هذه الفتاة هذه المرة .....

فأجابه (دانى) على الفور :

ــ نعم يا (جون) لقد نجحت ..

ثم أردف فى كلامه قائلاً :

ــ اجعلها تصعد منذ الغد .. والمسئولة ... عن هذه الغرفة .. أيضًا ..

فزفر (جون) فى ارتياح :

ــ أخيرًا يا ولدى .. شكرًا لك .

ثم انصرف فى هدوء .. فسأل الثانى الأول فى اهتمام (جون) .. هل كل الأمور على ما يرام ؟

فأجابه هذا الأخير بنبرة حزينة :

ــ حتى الآن يا ولدى .....

ــ لن أوصيك يا أبى .. الحذر والحرص مطلوب .. أكثر وأكثر .. فى المرحلة القادمة ...

بعد كل ما حدث ..

ثم استدار بكرسيه ليواجه (جون) .. والثانى يستطرد كلامه .. وقد ترقرق الدمع فى كلتا عينيه :

ــ فأنا لا أستطيع الاستغناء عنك ..

ولو مجرد لحظة واحدة ..

ثم أردف بصوت متهدج :

ــ أرجوك .. حافظ على نفسك .. من أجلى .

فاتجه (جـون) إلى (دانى) .. وطبـع الأول قبلة حانية على رأس الثانى .. ولم يستطع كبح دموعه فتركها ... تنسلت على كلتا وجنتيه .. ساخنة تكاد تحرق وجهه .. ثم انصرف كالريح متجهًا إلى غرفته ..

* * *

كم تمنت (جيلان) أن تتحرش بـ (جين) ... وتفتعل معها أدنى مشاجرة .. كى تفتك بها !.. كم تمنت تدميرها وسحقها .. وجرها من شعرها الطويل الحريرى هـذا !.. ولكنهـا تذكرت مستر (جون) ..

Looloo www.looloolibrary.com

وما سيفعله بها وتهديده لهما .. وقدرته على ذلك .. ومجاهرته أكثر من مرة .. بأنه قد قتل أكثر من خادمة ــ ذات يوم ــ لعدم سماعها الكلام .. وعدم طاعتها .. وانصياعها للأوامر .. وبالطبع لا أحد يدرى .. ما إذا كان صادقًا أم كاذبًا ..؟

ولكنه قال .. واعترف على نفسه بأنه قد فعل ذلك .. يومًا ما وحاولت السيطرة على نفسها .. ومشاعرها .. ولكنها لم تستطع فأمسكت بأحد الأطباق .. واتجهت نحو (جين) .. وهذه الأخيرة .. كانت مولية ظهرها آنذاك .. فأشارت إليها (كيم) بأن تتوقف .. ولكنها تجاهلتها فى إصرار .. ومشت بدون صوت ممزوج بالخفة نحو (جين) وهذه الأخيرة كانت منهمكة فى غسل الأوانى .. والأكواب .. كعادتها بكل اهتمام ، ولكن عقلها .. وقلبها كانا فى كوكب آخر .. بحق ، لم تكن تبغى (جيلان) سوى أن ترتطم بها وتفتعل شجار ما معها ... فقط .....

ــ (جيلان) .

انطلقت الصيحة فى المكان كالقنبلة .. لتنفجر معها أجسادهن جميعًا .. بلا استثناء .. حتى إن الطبقين اللذين كانا فى يد كل من (جين) و(جيلان) قد سقطا أرضًا .. وانكسرا .. من هول الصيحة ونظرت هذه الأخيرة إليه .. فوجدته يحدجها بعينيه الناريتين .. فسقطت هذه الأخيرة .....

فاقدة الوعى .....

من شدة الرعب .

* * *

فى تلك الأثناء .. قال (كارل) وهو يواجه رفاقه :

ــ انتظروا أيها الرفاق .. إن الكائن قد اتجه شرقًا .. وبما أنه بهذا الذكاء ..

وأردف كلامه وهو يشعر بالحماس :

ــ وبما أنه لا يفعل ثمة شىء عبثًا .. فدعونا نتجه شرقًا فربما نجده .. أو نجد ثمة شىء قد يساعدنا على الوصول إليه .. وهنا قال (بول) بل وربما نجد المكان الذى يعيش فيه ..

فنظر الرجال جميعًا إلى بعضهم البعض .. وهم يتشاورون فقال (بول) :

ــ استفتاء .

فرفع الرجال جميعًا أيديهم ماعدا (مارك) الذى قال لهم فى غضب :

ــ وماذا لو تقابلنا بالفعل ما هذا الكائن .. إننا لسنا مستعدين إلى هذا ..

فقال (باتريك) مداعبًا .. وهو يضرب سلاحه :

ــ ولكننى مستعد لهذا .

ثم أردف قائلاً :

ــ أليس كذلك أيها الرجال ..

فأطلق الرجال جميعًا صيحة قوية ... .. ماعدا (مارك) بالطبع .. الذى قال كلمته المعتادة :

ــ اللعنة .

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال (باتريك) مداعبًا :

ــ أم أنك تخشين أن يضربكِ مرة أخرى .

فانفجر الجميع ضاحكين .. واحمر وجه (مارك) من شدة الغيظ .. وكاد ينفجر فى وجوههم لولا (بول) الذى قال :

ــ كفوا عن العبث أيها الرجال .. هيا ..

وانصرف الجميع صوب الشرق .. فقال (مارك) كلمته المعتادة :

ــ اللعنـــة .

ثم مشى معهم صاغرًا .. وبعـد أن مشى الجميع كثيرًا .. وكثيرًا .. فى هذه الغابة الممتدة .. حتى كادوا يسقطون فاقدى الوعى .. من شـدة التعب والإنهاك .. وتاهوا .. بحق .. فى هذه الغابة الممتدة الشاسعة ... وبالطبع لم يجـدوا أى شىء .. أو حتى ثمة أثر له ... فعادوا يجرون أذيال الخيبة ....

ولكنهم لم يفقدوا الأمل .. أبدًا .

* * *

استيقظت (جيلان) لتجد نفسها فى غرفة مسـنر (جـون) .. الـذى حملها مثل كتاب صغير إلى غرفته .. ولم يجرؤ ثمة أحد على الاعتـراض بالطبع .. ووجدت نفسها وجهًا لوجه .. فـى مواجهـة هـذا الأخيـر .. فشرعت ترتعش وتنتفض مثـل عصفور ذليل ضعيف .. سقط فى بحيـرة من الثلوج .. ولم تقو على الخروج .. أو حتى مجرد الصراخ .. واتهمرت دموعها أنهارًا .. وأنهارًا .. لتغرق وجهها .. ثم تنحـدر إلى ملابسـها ..

وهى لا تقوى حتى على مسح دموعها ... وحاولـت أن تـتكلم وتحـرك لسانها ... وحاولت أن تعتذر وحاولت أن تتوسل .. وتترك .. ولكن عينيه النارية ورغبته فى افتراسها .. جعلاها تنتحب فى صـمت .. وتطـأطئ عينيها ورأسها .. أرضًا .. ولا تقوى على فعل ثمة شىء .. وهى تتحاشى مجرد النظر إلى عينيه ، فقد أصاب الشلل جميع أنحاء جسدها بحق ..

وأغمضت عينيها للحظات .. وقد أدركت بأنها ستلاقى نفس مصير الخدم السابقين .. وأنه سيقتلها .. ولكنه لم يفعل .. لقد تركها لأكثر من دقيقة كاملة أمامه .. تنتفض وترتعش بدون كلام .. وهو يستمتع بخوفها ورعبها .. حتى كادت تموت هى من شدة الرعب .. وتخيلت للحظات بأنها ستفتح عينيها .. فتشاهده وقد أحضر السكين لذبحها .. وأخيرًا وليس آخرًا .. فتحت عينيها .. فوجدته ما زال يحدجها بنظراته النارية .. وقد تحولت عيناه إلى كرتين من اللهب .. ثم قال لها بلهجته النارية وهو يشير إليها بإصبعه محذرًا :

ــ ماذا قلنا أيتها اللعينة .. من قبل ..؟

وهنا وجدتها فرصة .. وعادت بعض الحيوية والنشاط تدب فى بعض أوصالها .. فانكبت على يده تقبلها .. وقد تحرر لسانها أخيرًا من شدة الرعب .. وهى تقول دون أن تجرؤ على النظر إليه أو بمعنى أدق .. كانت تتحاشى النظر إلى عينيه النارتين :

ــ أنا آسفة يا مستر (جون) .. أقسم لك بأن هذا لن يتكرر منى مرة أخرى .. أقسم لك .. أقسم لك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فرفعت عينيها إليه أخيـرًا .. فوجدت سحنته قـد انقلبت على نحـو عجيب .. وبدأت قسماته تتغير على نحو غريب .. من شدة الغضب .. فتراجعت فى خوف ممزوج بالرعب .. وشعر هو بنفسه .. فقال لها فى سرعة بسحنته المرعبة هذه :

ــ أقسم لكِ لو تكرر هذا .. لأمزقنك بيدى ..

ثم قام .. وأولاها ظهره .. ثم قال لها صارخًا :

ــ هيا انصرفى ..

ثم أردف كلامه قائلاً :

ــ من الغد .. لقد أصبحت (جين) السيدة الثانية فى هذا البيت .. من بعدى ..

ونزل عليها الخبر كالصاعقة .. ولكنها لم تستطع فعل ثمة شىء .. أى شىء ..

وجرت من غرفته .. بأقصى سرعة ..

قبل أن يفترسها ..

بحق ..

* * *

(11) الخـــادمـة

دخلت (جيلان) إلى غرفة نومها مهرولة .. وكأنها تهرب من شياطين الجحيم .. وهى لا تصدق نفسها .. بأنها قد نجت بحياتها من هذا الشيطان اللعين .. وهى تتجاهل (كيم) .. وذلك بعدم الرد عليها .. ففوجئت بوجود (جين) معها .. فى غرفة نومها ... فاستقبلتها هذه الأخيرة باسمة الثغر قائلة فى مرح :

ــ حمدًا لله على سلامتك .. أرجو أن تتحمليني منذ اليوم .. وأتمنى أن نصير أصدقاء منذ هذه اللحظة ..

كانت (جين) تقول ذلك .. بينما كانت هذه الأخيرة تقوم .. بإعداد وترتيب وتنظيـم فراشها .. وسريرها الـذى ستنام عليـه .. حيث إن هذه الغرفة معـدة آنفًا .. لينام فيها اثنتان من الخادمات .. وأدركت (جيلان) بأن هذه الملعونة ستشاركها غرفتها أيضًا .. واجتاحتها مشاعر شتى .. ما بين البغض والكراهية .. والقتل والتدمير .. والضرب .. وفى النهاية تذكرت مستر (جون) وكلماته الأخيرة .. السيدة الثانية ولم يبق أمامها سوى الطاعة .. والاستسلام .. على الأقل مؤقتًا .. فوصلت إلى سريرها .. وهى تجاهد لرسم البسمة على وجهها .. ثم قالت مصطنعة المرح :

ــ مرحبًا بكِ فى غرفتى المتواضعة ..

ثم جلست على سريرها .. وهى تتحاشى النظر إليها .. فقالت (جيـن) فى صدق :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ألف سلامة عليكِ .. لماذا فقدت الوعى ؟

فقاطعتها (جيلان) فى سرعة :

ــ أبدًا .. أبدًا .. إنه مجرد مجهود وتعب زائدين .. لا أكثر ..

فقالت (جين) فى سرعة :

ــ أتمنى هذا ..

وهنا جلست (جين) على طرف سريرها .. وهى تقول (لجيلان) فى لهفة :

ــ تعالى يا (جى) .. أريد أن أتحدث معكِ ..

جاءت هذه الأخيرة فى تردد .. وقسوة الرعب الذى شاهدته فى غرفة مستر (جون) .. قد مسح ومحا .. كل ما كانت تفكر به بشأن (جين) .. فاستجابت (جيلان) لها على الفور .. وكانت هذه الأخيرة تتحدث معها .. وهى مطأطئة الرأس .. وتنظـر إلى الأرض .. أو بمعنى أدق .. لا تكاد تطيق النظر إليها .. فقالت (جين) وهى تمسك كتفيها .. وتنظر إلى عينيها مباشرة :

ــ (جى) أرجو أن نكون أصدقاء .. فأنا هنا لست سوى خادمة .. ولن أقول مثلك فأنت هنا من قبلى .. والمفترض أنكِ أفضل منى ..

وتذكرت (جيلان) قول (جون) السيدة الثانية .. السيدة الثانية .. وظلت هذه العبارة تتردد كثيرًا كثيرًا فى رأسها .. وهنا أدركت (جيلان) بأنها ستخسر كثيـرًا ، ولو خسرت السـيدة الثانية ، وأدركت (جين) شرودها .. فأخرجتها من أفكارها قائلة :

ــ جى .. جى .. هل أصبحنا أصدقاء ؟

فابتسمت هذه الأخيرة رغمًا عنها قائلة :

ــ بالتأكيد .

وهنا مدت (جين) يدها لها .. قائلة فى مرح :

ــ عهد الصداقة ..

فأجابتها الثانية :

ــ عهد الصداقة ..

وهنا عادت (جين) بظهرها قليلاً إلى الوراء ..

ثم قالت :

ــ والآن أخبرينى بكل شىء عن هذا البيت ..

فعادت (جيلان) إلى سريرها .. واتكأت بظهرها عليه .. ثم شرعت تقص عليها القصص .. وتروى لها كل شىء تعرفه .. وبكل صدق عن هذا البيت .. وكان قلب (جين) يدق فى عنف .. وروت (جيلان) لها كل شىء .. وعرفت (جين) عن هذا البيت كل شىء .. وخفق قلب كل منهما فى عنف .. الأخيرة .. بسبب العطف والشفقة الذى رواهما الإعجاب السابق .. وطفق يثمر فى قلبها عن حب صغير .. شرع ينمو .. وينمو .. نحو صاحب هذا البيت .. الدكتور (دانى ستيوارت) .. أما الأولى فقد كانت مشاعر الغيرة والحقد .. فى قلبها قد تأججت إلى أقصى درجة .. سيما وأن هذه الوافدة الجديدة .. قد أصبحت السيدة الثانية فى هذا البيت .. فى بحر يوم واحد .. كيف حدث هذا ..؟ كيف ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

وهذا يعنى أنها ربما ستتلقى الأوامر ...

من هذه اللعينة .. فيما بعد .. لماذا ..؟ لماذا ..؟

ولكنها لا تملك من الأمر ثمة شيء .. ويجب عليها الاستسلام التام تمامًا .. وإلا سيكون مصيرها الطرد نهائيًا .. من هذا البيت .. الذى أصبح كل حياتها بل جنتها الحقيقية بحق .. وهى لن تتنازل عن جنتها هذه أبدًا .. أبدًا ..

مهما حدث لذلك يجب عليها الاستسلام التام .. وأقنعت نفسها بذلك وارتضت .. وهنا أخرجتها من أفكارها (جين) مرة أخرى ... وهى تسألها فى اهتمام :

ــ أخبرينى يا (جى) ماذا تعرفين عن مستر (جون) ؟

فسألتها (جيلان) فى حيرة :

ــ ماذا تقصدين ..؟

فقالت (جين) فى اهتمام :

ــ لقد لاحظت أنه رغم كبر سنه إلاَّ أنه يتمتع بالحيوية والنشاط الشديدين .. ولا أبالغ إن قلت : إنه يكاد يتمتع بالشباب .. خفة حركته .. خطوات قدميه التى لا يكاد يسمعها ثمة أحد .. بشرته البضة الناعمة .. كل هذا ..

فقاطعتها (جيلان) قائلة :

جين أنا لست أدرى عن هذا الأمر ثمة شيء بل ولا يشغل بالى أيضًا .. والآن تصبحين على خير .. ثم نامت وأعطتها ظهرها حتى الصباح .

* * *

فى الصباح .. عاد مستر (توم أرمسترونغ) .. من رحلته .. فأخبرته نجلته (سوزان) بأن المأمور .. قد مر عليه بنفسه .. وترك له أمرًا بالحضور .. هو ومستر (إيدى) .. عن طريق (برنارد) أحد رجال (إيدى) وفكر (توم) فى النوم .. وأخذ قسطًا من الراحة .. من وعثاء السفر ... ولكنه شعر بأن الأمر جد خطير .. فاستحصل على حمام دافئ .. ثم انطلق على الفور إلى المأمور سالف الذكر ..

واستقبله هــذا الأخير بترحيب شديد ... وسرعان ما قص عليه .. هذا الأخير كل ما حدث ... ثم حضر الرجال .. وأيدوا رواية قائدهم .. وهنا سأل (توم) المأمور ورجاله :

ــ هل هناك بعض الآثار لقدميه أو يديه ..؟

هنا .. أو هناك ..

فأجابه المأمور على الفور :

ــ أعتقد أن الأمطار .. قد أزالت آثار كل شيء .

فقال (توم) :

ــ إذن دعنا نزور صديقنا (إيدى) .. ولنر ما لديه هناك .. أعتقد أنه ما زال محتفظًا بآثار .. ما تبقى لديه من جثث ماشيته ..

فقال (كارل) مداعبًا :

ــ أعتقد أن هذا سيفتح جراحه ..

وابتسم الجميع لدعابته .. إلاَّ المأمور (هاريسون) .. فحدج هــذا الأخير رجاله بنظرة نارية ... وأمرهم بعدم الإشارة إلى ذلك ... هناك لدى

Looloo www.looloo.com

وصولهم .. سواء من قريب أو من بعيد .. وهناك استقبلهم (إيدى) بترحيب شديد ... سيما وأنه كان ينتظر (توم) بفارغ الصبر .. واستخرج هذا الأخير آثار الجثث الممزقة من الثلاجة .. وطفق يفحصها (توم) بكل دقة وإعادة فحصها .. أكثر من مرة .. وبالطبع كان الجميع ينظر إليه فى لهفة منتظرين إجابته .. وما سينطق به .. وأخيرًا وليس آخرًا .. قال (توم) :

ــ أعتقد أننى سآخذ بعض هذه العينات إلى معملى .. وذلك حتى تكون إجابتى صحيحة ..

ثم أردف قائلاً :

ــ على قدر المستطاع .

فسأله (إيدى) وهاريسون فى ذات الوقت :

ومتى ..؟

ثم نظر كل منهما إلى الآخر وابتسما ، ثم قال (إيدى) فى احترام:

تفضل .. يا مستر (هاريسون) ..

فسأله هذا الأخير : ومتى سيكون ذلك ؟

فأجاب (توم) : أنتم تعلمون أننى قادم من السفر .. ورحلة صيد شاقة ..

فقاطعه (إيدى) فى حزم : بالليل يا (توم)

فنظر إليه هذا الأخير .. ثم قال باقتضاب : سأحاول .

ثم قال (هاريسون) لرجاله : الوردية الليلية .. كما هى ، ثم أردف فى صرامة . حتى ينتهى هذا الكابوس .

وانصرف الجميع وفى رأس كل واحد منهم العديد من الأفكار .

* * *

استيقظت (جين) فى الصباح .. وهى فى غاية النشاط والحيوية والتفاؤل والإقبال على الحياة .. ونظرت إلى نفسها فى المرآة ... ولم تبد للأمر أدنى اهتمام .. عندما وجدت أن (جيلان) قد استيقظت قبلها وخرجت من الغرفة قبلها دون إيقاظها .. وشرعت تهندم فى نفسها وشعرها .. ثم خرجت من غرفتها ثم غسلت وجهها .. واتجهت إلى المطبخ مباشرة .. وتقابلت مع زميلاتها هناك .. ووجدت الإفطار جاهزًا فحملت صينية الطعام .. واتجهت بها إلى حيث غرفة مخدومها مباشرة .. وفى الطريق تقابلت مع مستر (جون) الذى تبادل معها تحية الصباح .. ممزوجة بابتسامة ترحيب وود كبيرتين .. ربما تشاهدها لأول مرة .. منذ وطئت بقدمها لهذا المنزل الغريب ... وسرعان ما فتح لها الباب .. المؤدى إلى القسم الثالث والرابع وصعدت السلالم المؤدية إلى الغرفة .. فى سرعة وحيوية لم تعتدها فى نفسها .. من قبل قط .. وتركت الصينية على المنضدة التى توجد بجوار باب الغرفة .. وطرقت الباب ثلاث طرقات متتالية .. فأجابها (دانى) من الداخل :

ــ تعالى يا (جين) ..

فدخلت إلى الغرفة دونما أدنى استغراب من أنه قد علم أنها هى .. وأدركت بحسها الأنثــوى وبما روته لها (جيلان) من قبل .. من أنها صعدت إلى غرفة مخدومها مرتين متتاليتين .. فهذا لا يعنى إلاّ شيئًا واحدًا .. بأنها قد نالت الرضا والاستحسان .. والأهــم مــن ذلك .. أنها يجب أن

www.looloolibrary.com

تحافظ على ذلك .. مهما حدث .. وقاطعها صوت (دانى) قائلاً فى حيوية ممزوجة بقليل من السعادة :

ــ هيا يا جين لقد تأخرتى على اليوم ..

وأنا جائع جدًا .. جدًا .. جدًا ...

فقالت له فى مرح متبادل :

ــ أنا آسفة يا سيدى .. لم أقصد ذلك ..

ووضعت صينية الطعام على المنضدة التى أمامه وسرعان ما أمسكت بالفوطة .. ثم قامت بوضعها ثم ربطتها بكل حنان حول رقبته .. وشرع هو فى تناول إفطاره .. بمنتهى الشراهة والنهم والسرعة أيضًا .. ثم قال لها دون أن ينظر إليها :

ــ أجلسى يا (جين) .

فقالت له فى خجل :

ــ كلا .. لا يجوز ذلك .. ولا ...

فقاطعها بنظرة نارية من عينيه .. وقد توقف تمامًا عن تناول طعامه .. وهو يقول بلهجة آمرة :

ــ عندما آمرك بشىء تنفذينه .. بدون مناقشة ..

فاعتذرت على الفــور .. فى شىء من الخجــل والارتباك الشديدين .. ثم أحضرت الكرسى الثانى فى الغرفة .. ثم جلست فى صمت تراقبه .. وهى سعيدة بأنه يتناول طعامه .. بهذه الشهية الجميلة .. المفتوحة ..

على عكس ما روته لها (جيلان) بالأمس .. من أنه لا يكاد يأكل .. وأنه لا يأكل إلاَّ قليلاً .. فهو لا يتناول إلاَّ ثلث الطعام أو نصفه .. وأحيانًا أكثر من ذلك .. يعود فى كل مرة .. مع مستر (جون) والذى كان مسئولاً عن إطعامه قبل حضورها .. لدرجة أن (كيم) قالت لمستر (جون) ذات مرة أنها تريد تقليل كميات الطعام .. التى تقوم بطبخها سيما وأنها ترمى فى كل مرة نصف الطعام .. وأحيانًا أكثر من ذلك .. أو أقل .. إلاَّ أن مستر (جون) قد رفض آنذاك ذلك الاقتراع وبشدة .. وقام بتأنيب (كيم) على ذلك تأنيبًا شديدًا .. بل واعتبره تدخلاً سافرًا فى شئون المنزل .. وبالطبع لا يحق لها ذلك .. بأية حال من الأحوال .. وسرعان ما انتهى (دانى) من تناول طعامه .. ثم استدار إليها بكل كيانه .. بكرسيه الهزاز .. ثم قال لها فى اهتمام :

ــ والآن ليس لديكِ أية حجة ..

ثم أردف قائلاً :

ــ هيا أخبرينى بكل شىء .. أريد أن أعرف قصتك كلها .. منذ البداية وحتى وصولك إلينا .. هنا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(12) قصتى

ـ قصتى ليست كبيرة ..

نطقت (جين) بهذه العبارة فى حزن شديد ...

ثم أردفت فى هدوء :

لقد كانت أمى خادمة .. منذ نعومة أظفارها ... أى قبل مولدى بكثير .. أما والدى فلا أعلم عنه ثمة شىء .. بل إن والدتى كانت تتحاشى .. الحديث عنه أو حتى مجرد ذكر سيرته .. كل ما أعلمه عنه .. أنها قد تعرفت عليه .. وكان فى منتهى الوداعة والرومانسية معها .. حتى علم بأمر حملها بى .. وبدون سابق إنذار هرب بلا عودة .. وتحملت أمى عبء الحياة ومشقتها وعبئى .. وتحاملت على نفسها .. مشقة كل ذلك بالإضافة إلى مشقة الخدمة فى البيوت .. الذين كانوا أحن عليها .. من كل شىء فى هذه الدنيا ..

ومضت الأيام .. حتى أنجبتنى ... ومرت خمس سنوات حتى تعرفت أمى على شخص آخر .. فلم تكن أمى تحتاج إلى رجل .. لمجرد الرغبة فى ذلك .. ولكنها لم تكن تحتاج سوى إلى جدار .. لكى يحميها من شرور هذا العالم .. أو هكذا اعتقدت هذه المرأة الطيبة .. وهكذا فلم تكن تحتاج سوى إلى مجرد كلمة رقيقة .. حتى تنهار .. وتغرق فى حبه حتى النخاع .. فى البداية حاول هذا الرجل أن يكون وديعًا .. طيبًا .. ولكنه لم يقدر على التمثيل كثيرًا .. وقبل أن يمر العام ظهر وجهه الحقيقى .. فهو ليس إلاَّ رجلاً مدمنًا للخمر .. لا يريد سوى النوم .. والشرب حتى الثمالة .. بدون عمل أو عناء .. أو عطاء .. أو حتى مجرد شكر .. لقاء كل ما يحصل

عليه مجانًا .. بل على العكس من ذلك .. لم تكن تتلقى منه سوى الإهانة .. وسوء المعاملة .. أو الضرب أحيانًا أخرى .. وأمر هذا الأخير .. أمى .. بأن تتركنى فى المنزل لكى أقوم على خدمته .. وكان عمرى قد وصل آنذاك إلى ستة أعوام .. وتهدج صوتها وهى تقول فى حزن وتأثر شديدين .. وهى تجتر تلك الذكريات المريرة المؤلمة : ولم يرحم طفولتى وضآلتى .. آنذاك ... فقد أصبحت خادمة له منذ ذلك الحين .. وكما نالت أمى من سب وشتم وقذف .. نلت أنا .. وحاولت أن تقاوم .. وتقاوم وتجاهد .. وتصمد أمام .. مخدومها .. ولكنها لم تستطع المقاومة كثيرًا كثيرًا .. أبدًا .. وانهارت دموعها .. ساخنة على وجنتيها .. وأخفت وجهها بكفيها .. ومسحت دموعها بكلتا يديها .. والغريب والعجيب .. أن مخدومها ودون أن يشعر .. قد شاركها أحزانها ودموعها .. وعندما أبصرت ذلك .. أدركت كم هو حنون ورقيق هذا الرجل .. وقامت على الفور لكى تمسح له دموعه .. وترك أناملها الرقيقة تمسح دموعه فى حنان دافق .. فياض .. فقد كانت هذه هى أول مرة .. منذ أدرك معنى الوجود فى هذه الدنيا .. يقوم شخص ما بمسح دموعه .. وتركها وترك نفسه وقلبه .. ليستمتعا بتلك المشاعر .. المبتورة فى حياته .. وأدرك كم هو جميل هذا الشعور .. أن يقوم شخص حنون تطمئن إليه .. بمسح دموعك .. وأغلق عينيه .. للحظات وقبلته هى قبلة صغيرة أعلى رأسه .. ثم عادت لتجلس على الكرسى مرة أخرى .. لكى تكمل روايتها وفتح هو عينيه .. ولكنه كان ينظر إليها نظرة أخرى .. فلم يكن ينظر إليها نظرة المخدوم إلى الخادم .. وإنما نظرة العاشق الولهان إلى حبيبته .. التى عثر عليها .. بعد بحث وعناء شديدين .. لسنين وسنين عجاف .. وأخيرًا وجدها .. وأصابها الخجل من نظراته .. وطأطأت برأسها أرضًا .. واندفعت الدماء غزيرة إلى كلتا وجنتيها .. ليصطبغ وجهها كله باللون

www.looloolibrary.com

الأحمر .. ليزيد بهاؤها وحسنها وجمالها .. وضاءة .. ويشع وجهها بنور الحب .. وتلعثمت ولم تستطع الاستكمال .. حتى استرخى هو فى مقعده .. وأبعد عينيه عنها ثم أمرها بالاستكمال .. ولكنه كان يتمنى ألاّ تمر هذه اللحظة الجميلة أبدًا .. أبدًا ..

وشرعت هى تستطرد روايتها قائلة :

وذات مرة .. طلب منى إحضار طعام الإفطار .. بعد أن أيقظنى .. برش الماء على وجهى كعادته .. ولأن أمى كانت قد تركت له طعام الإفطار مجهزًا .. فلم يكن على سوى حمل هذا الصينية إليه .. ومعها زجاجة الخمر الخاصة به .. واتجهت إليه .. رغم صغرى وأنا أحمل هذه الأشياء .. وتعثرت .. تعثرًا صغيرًا .. وأنا فى طريقى إليه .. ولم يسقط ثمة شىء من هذه الصينية .. سوى زجاجة الخمر الخاصة به .. وشردت بخيالها .. وهى تتذكر تلك اللحظات المرعبة .. ونظر إليها هو الشرر يتطاير من عينيه .. فقد كاد يقتلها آنذاك بحق .. ووضعت هى الصينية .. على المنضدة الخاصة به .. وقبل أن تنطق لتعتذر له .. عما حدث منها بغير قصد أو تعمد .. كانت توجد بجواره ... زجاجة خمر أخرى .. ولكنها فارغة ... فقام وبدون تفكير ودون توقع منى .. بمسك هذه الزجاجة ثم ضربنى بها بكل ما يملك من قوة .. على يدى اليسرى .. حال قيامى بوضع الصينية على المنضدة وانكسر الزجاج على يدى .. وسالت دمائى غزيرة وترقرق الدمع فى عينيها مرة أخرى .. عندما تذكرت ذلك وعندما صرخت .. وبكت من الألم .. لم يكن مصيرها سوى مزيد من الضرب المبرح .. وتهدج صوتها وهى تقول :

وقام بحبسى .. حتى حضرت أمى وعندما حضرت .. وشاهدت الدماء .. لم تتكلم معه مطلقًا .. وحملتنى إلى أقرب مستشفى .. ومن حسن حظى .. أن أمى .. قد حضرت مبكرًا فى هذا اليوم على غير عادتها .. وإلا كنت قد فارقت هذه الحياة .. من شدة النزيف الذى أصابنى آنذاك .. ولكن الله القدير كتب لى النجاة فى هذا اليوم .. وعشنا أنا وأمى .. لدى مخدومها وزوجته آنذاك ..

ورويدًا .. رويدًا .. أصبحت خادمة مثل أمى .. ومضت السنون .. وماتت أمى .. وفقدت أعظم إنسانة فى الوجود .. ماتت فى هدوء .. كما عاشت فى هدوء .. ولكن الحياة لن تقف .. لمجرد موت شخص ما .. وكان يجب عَلَىَّ الصمود والمواجهة .. وأصبحت مكان أمى .. خادمة لدى تلك العائلة .. ولأن تلك العائلة لم يكن لديها سوى ابنة وحيدة .. فى مثل عمرى .. وأصبحنا أصدقاء تقريبًا .. ومثل كل البنات تزوجت .. وطلبت منى هى .. ووالدتها الانتقال لديها .. للعمل عندها ووافقت على مضض .. فأخيرًا شعرت بالراحة لدى تلك العائلة .. ولا أحب الانتقال كثيرًا .. فضلاً عن أن زوجها .. كان لا ينفك عن النظر إلىَّ .. بنظرات لم ترق لى أبدًا .. أبدًا .. وكما توقعت تمامًا .. ومنذ أول أسبوع لى هناك .. كان يستغل نوم زوجته .. ليراودنى عن نفسى .. فى البداية .. كان الأمر مجرد محاولات .. وعندما صددته بكل قوة .. شرع فى الهجوم بكل قوة .. واستطعت الهروب منه بمعجزة ... وعلمنا فيما بعد أنه كان يضع مخدرًا لزوجته فى الشاى .. وعدت أدراجى إلى سيدتى وسيدى .. تلك العائلة الطيبة .. وأخبرتهما بكل ما حدث .. ولكنه لاحقنى هناك .. واتهمنى بالسرقة .. ولأنهم كانوا يعرفوننى جيدًا .. ويعرفون كم هو قدر أمانتى .. فقد تظاهرا بتصديقه ..

www.looloolibrary.com

وحاول استرجاعى بكل ما أوتى من قوة .. ولكنه لم يستطع ، ووقفت تلك العائلة الطيبة له بالمرصاد .. ولكنه أصر على تركى العمل لديهم .. وهددهم بالانفصال عن نجلتهم .. فاضطروا إلى الانصياع له .. واستطاع هذا الشيطان .. إرسالى إلى أحد أصدقائه للعمل لديه .. الذى لم يكن سوى شيطان آخر .. أشد لعنة وقسوة من صديقه .. وعلى يديه تجرعت العذاب .. بكل أشكاله وألوانه .. سب وشتم وقذف .. وإهانة .. وضرب .. بسبب وبدون سبب .. وتهدج صوتها مرة أخرى .. وهى تتذكر .. كل هذه الذكريات الأليمة .. وأردفت فى انكسار :

ــ كنت كالعبيد لديه ولست خادمة .. وبالطبع لم أستطع الهرب .. فلم يكن هناك ثمة ملجأ .. أو ملاذ من هذا العذاب .. أو الهوان .. حتى تأتى معجزة أخرى .. لتنقذنى من يد هذا الشيطان اللعين ..

وهنا سألها دانى لأول مرة منذ بدأت تروى قصتها :

ــ لماذا لم تعودى إلى سيدتك ...

والدة صديقتك العروس ..

فأجابته بكل بساطة :

ــ عندما فكرت فى العودة إليهم .. كانت قد ماتت

وأردفت بذات لهجتها الحزينة :

وبالطبع لم أفكر فى العودة إلى صديقتى (ميلانو) ... خشية من زوجها .. الشيطان .. وخدمتنى أخيرًا الصدفة والظروف معًا ... وحدثت المعجزة الكبيرة وأخيرًا .. التى كنت أنتظرها بفارغ الصبر .. وتقابلت مع مستر

(روجر) .. فقد دعاه سيدى (لوكاس) فى عشاء عمل .. كالعادة .. ومستر (روجر) هذا كان يعد فى ذلك الوقت .. من أثرى الأثرياء .. فى الولايات المتحدة الامريكية كلها .. ومن ثم فقد كان الجميع ... يسعى ليس لمجرد التقرب إليه ... والحرص على صداقته .. بل إنه .. وبلا مبالغة .. كان الجميع يتمنى مجرد إلقاء التحية عليه .. ورأى مستر (روجر) من سيدى (لوكاس) .. ما كان يفعله معى .. من سوء معاملة.. وإهانة كالعبيد .. وعندما حاول مستر (روجر) معرفة سبب ذلك .. لم يجد جوابًا شافيًا .. فطلبنى من مخدومى سالف الذكر .. سيما وأن زوجته العزيزة (كيت) كانت لا تنجب آنذاك .. وكانت تحتاج فى ذلك الوقت .. إلى صديقه .. أكثر منها إلى خادمة .. وبالطبع رفض مخدومى ذلك وبشدة .. فاشترانى مستر (روجر) منه .. نعم .. أنت لم تخطئ سماع هذه العبارة .. لقد اشترانى مستر (روجر) منه .. كالعبيد . ولست أدرى كم دفع هذا الأخير مقابلاً لى .. ولكنه رأى بعينه الخبيرة .. أننى فى نظره هو .. كنز كبير .. لا يقدر بالمال .. فلم يتردد ونقده الثمن .. وذهبت إلى بيته .. وعشت هناك أسعد .. وأجمل أيام حياتى .. على الإطلاق .. وكان يعتبرنى وجه الخير عليه .. فلقد ربح الكثير من الصفقات التجارية .. ثم أنجبت زوجته ابنته الحبيبة الغالية (بولا) ... وهكذا مرت الأيام .. حتى أصابته ضربة قاضية .. حيث غرقت إحدى سفنه الكبيرة .. والمحملة ببضائعه .. وخسر حوالى أكثر من نصف ثروته .. واضطر إلى بيع بعض ممتلكاته لسداد ديونه .. والتخلى عن بعض الخدم .. ومن ضمنهم أنا .. وأوصى أحد أعز أصدقائه .. ليضمن لى العمل فى بيت يحترم الخدم ... فأشار لها بيده .. دلالة على أنه يعرف الباقى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقالت هى فى خجل :

ــ ويبــدو أن الظــروف قد خدمتنى مــرة أخــرى .. بحضــورى إلى هنا .....

ووقف (دانى) ثم اتجه إليها بعينين ملأهما الحب الدافق .. ووقفت هى بدورها احترامًا لمخدومها .. ثم أمسك يديها فى رقة ثم قبلها أعلى رأسها كما فعلت هى معه .. ثم قال لها فى حنان :

ــ تعالى معى ..

* * *

(13) البدايــة

مشت (جين) مع سيدها وحبيبها .. فى طاعة واستسلام .. تامين .. وهى لا تدرى إلى أين سيأخذها ؟ أو إلى أين ستذهب .. ؟

ولكنها لم تقاوم ولم تسأل ....

حتى وجدت نفسها أمام الباب ... المؤدى إلى معمله الخاص به .. ذلك المكان المحرم .. والذى لا يجرؤ ثمة مخلوق ... فى الكون كله على مجرد الاقتراب منه ... سوى مخدومها ومستر (جون) شخصيًا ... أى كلاهما فقط ... وقام (دانى) بفتح الباب ... بكل يسر وسهولة ... والذى لم يكن موصدًا ... وفوجئت بأن أمامها سلمًا آخر ... يؤدى إلى الأسفل .. لم تحص درجاته .. حتى وصلا إلى باب آخر ... فأخرج مفتاحه من جيبه ... وقام بفتح الباب الذى استجاب له فى مرونة ... وكان بابًا كبيرًا .. ثقيلاً ... وسرعان ما وجدت نفسها داخل معمله الخاص به ... وكان معملاً واسعًا كبيرًا جدًا جدًا ... إلى أقصى درجة بحق .. ولاحظت هى شيئًا غريبًا ... فالمعمل به الكثيــر من دوارق الميــاه المغطــاة ... كما أنها قــد استعجبت مرتين .. الأولى لأن هذا المعمل .. يكاد يساوى مساحة البيت .. تقريبًا ... والثانيه لأن هذا المعمل نظيف ومنظم إلى أقصى درجة .. وكأن هناك يدًا تعمل على ذلك يوميًا .. ولأنها تعرف بأن الخدم .. لا يطئون بأقدامهم هذا المكان .. فلا يوجد سوى مستر (جون) فقط .. الذى يقــدر على فعل ذلك .. وأصابها الانبهار الشديد بهذا المعمل .. سيما وأنها لم تر مثيله من قبل قط .. فهو يوجد به كل شىء تقريبًا ... فيوجد العديد من

Looloo
www.looloolibrary.com

المناضد هنا .. وهناك .. والآلاف من القوارير الزجاجية بكافة أشكالها .. معظمها ملىء بالسوائل .. ذات ألـوان مختلفة .. وأخرجها هو من حاله التعجب .. والانبهار .. بأن اقتادها إلى أحد الأماكن .. الذى يوجد به كرسيان من النوع الهزاز أيضًا .. فسألته مداعبة :

ــ ترى لمن هذا الكرسى الثانى ؟

فأجابها بعد أن جلس :

ــ لى أنا أيضًا .. فأحيانًا عندما أتضايق .. أقوم بتكسير أى شىء أمامى ..

وجلست هى على الكرسى المواجه له .. ولم تلق بالاً .. لتلك العبارة .. آنذاك .. والتقت عيونهم فى حب وهيام .. ثم سألته مرة أخرى :

لمـــاذا ؟

فأجابها وقد اتكأ بظهره إلى الخلف :

ــ لماذا .. ماذا ؟

فقالت :

لماذا أحضرتنى إلى هنا ؟

لأنك تستحقين ذلك .. ثم استطرد قائلاً :

ــ فأنا أريدك أن تعرفى سرى .. فأنا أثق بك .. ثقة مطلقة .. فأنت امرأة نادرة وشكرًا لله الذى بعثك إلىّ الآن .. فقد تعبت من حمل هذا العبء الذى تنوء لحمله الجبال .. وآن الأوان أن أقوم بتخفيف هذا العبء ..

ثم نظر إليها والدمع يترقرق فى عينيه قائلاً :

فأنا أريد مشاركة من أحب هذا السر ... ثم اتكأ بظهره مرة أخرى وهو يستطرد كلامه :

ــ وأول أسرارى هو هذا المعمل .. ثم استدرك قائلاً والدمع لم يجف فى عينيه :

ــ ولكن قصتى لم تبدأ من هنا .. فالبداية كانت هناك فى مكان آخر .. وبالتحديد منذ خمسة وأربعين عامًا .. عندما كان عمرى خمس سنوات .. عندما بدأ الوعى والإدراك لدى يعملان .. فأمى قد ماتت .. ولست أدرى .. متى حدث ذلك تحديدًا .. ولكن على الأقل قد ماتت قبل إدراكى للأمور بكثير .. وكان لدى شقيق يدعى .. (تونى) .

وابتسم وشبح الذكرى يمر بخاطره ثم استطرد قائلاً :

وكان يكبرنى بخمسة أعوام كاملة .. كان أطيب وأرق مخلوقات الأرض كلها .. وكان هناك أبى .. وكان يعمل حطابًا فى الغابة المجاورة لنا .. كنا نعيش ونتقوت على بيع الأخشاب ... أما بيتنا فقد كان أقرب منه إلى الكوخ .. منه إلى البيت بالمعنى المفهوم منذ البداية .. ولأول وهلة .. لاحظت أن أبى يعامل شقيقى الأكبر بمنتهى القسوة والعنف .. بل ويضربه لأتفه الأسباب .. بينما كان يعاملنى أنا بمنتهى الحنان الجارف .. وإذا قام كلانا بذات الفعل .. تلقى هو كل الذم ثم الضرب المبرح أحيانًا .. بينما أنا كنت أنجو كالعادة بدون أدنى لوم أو قدح .. فى البداية كان أبى يأخذنا جميعًا إلى الغابة معه .. وكانت مهمة شقيقى الأكبر هى أن يبقى عينيه على .. والمحافظة على لأقصى درجة .. وكانت تهجم علينا حيوانات الغابة بكافة أنواعها .. فهذا دب وذاك نمر أو فهد أو ضبع أو مجموعة ثعالب .. وغيرها من حيوانات الغابة التى لا تعد ولا تحصى .. وكان أبى يتصدى

Looloo www.looloolibrary.com

لهذه الحيوانات بقوته الشديدة .. فأبى كان بالفعل ذا قوة مفرطة فضلاً عن ذلك .. فقد كان يمتلك سيفين حادين .. وساطورين .. وجعبة من السهام الحديدية .. التى لا تنتهى أبدًا .. ولا أبالغ إذا قلت لك .. إنه إذا قتل الحيوان بأسلحته فهذا رحمة .. ورأفة به .. لأنه كان قادرًا على قتله بيديه العاريتين وسلخه حيًا .. إذا أراد ذلك .. أما أنا فلم يكن الأمر بالنسبة لى .. سوى مكان فسيح كبير .. ألهو .. وأمرح وألعب فيه .. دونما أدنى مسئولية .. أو تمييز وذات مرة .. وبينما كنت ألهو وألعب مع شقيقى .. قمت بالاختباء منه .. وكاد يفتك بى .. أحد الحيوانات المفترسة ولأن شقيقى كان يمتلك نفس قوة أبى المفرطة أو يزيد .. وكان أبى دائمًا ما يجعل أخى مسلحًا .. تحسبًا لأى ظرف من تلك الظروف .. فقد استطاع شقيقى قتل ذلك الحيوان .. بسلاحه .. وكلتا يديه .. ولكن أبى لم يجعل هذا الحادث .. يمر مرور الكرام .. فقد كانت توجد شجرة بجوار بيتنا .. فقام أبى بربطه فيها .. ثم جلده بالسوط .. حتى أدماه .. فى البداية كنت حزينًا على أخى ... ولكن الموضوع راقنى كطفل .. فكنت أدبر المكائد لأخى .. حتى يضربه أبى وأضحك أنا .. ولكن ..

وصمت قليلاً .. ليلتقط أنفاسه .. وكأنما قد بذل جهدًا خرافيًا ثم نظر إليها مبتسمًا ثم قال :

هل تصديق رغم كل ما كنت أفعله بأخى ... والضرب المبرح الذى كان يتلقاه بسببى .. فقد كان يبدو فى غاية السعادة .. عندما أكون سعيدًا ؟.. وترقرق الدمع فى عينيه وهو يستطرد كلامه :

ونظرًا لطيبة شقيقى الشديدة وحبه وعشقه لى .. فقد كان يكفيه مجرد سعادتى وابتسامتى .. حتى ولو كان ذلك على حساب نفسه .. وجسده ..

وكرامته .. ولكن عندما طال الأمر وبدأت أشعر بالذنب من كثرة وقسوة ما نال شقيقى من ضرب وعقاب .. كففت عن ذلك .

ثم أردف وقد شقت الدموع طريقها إلى كلا وجنتيه :

هل تعرفين أنه طوال الفترة التى قام أبى بضربه وجلده بالسياط من أجلى وسببى لم يدافع عن نفسه قط .. ولم ينف التهمة عن نفسه أبدًا .. لأن جل سعادته بأن أكون أنا سعيدًا .. حتى ولو كان ذلك على حساب نفسه وجسده كما أخبرتك من قبل ..

وقامت هى لتجفيف دموعه .. بأناملها الرقيقة وقبل هو يدها فى عشق .. ثم عادت أدراجها وطفق هو يستكمل روايته قائلاً :

طوال عامين كاملين لم أسأل نفسى يومًا لماذا يفعل أبى كل هذا ؟

لماذا يعشقنى أبى كل هذا العشق ؟

بينما يبغض شقيقى الطيب البرىء كل هذا البغض .. مع أن شقيقى هذا لم يفعل ثمة شىء لينال كل هذا البغض والعقاب ... ماذا فعل أخى ..

حتى يبغضه أبى كل هذا البغض ؟!

إن شقيقى لا يحمل فى قاموسه العصيان ... لفظًا أو فعلاً ، فلماذا يفعل به كل هذا ..؟ ما السبب يا ترى ؟ ولم يصل عقلى آنذاك إلى أنه ربما .. ربما يكون الأمر من ناحية الأم .. أن تكون أمه غير أمى مثلاً ... أو أن تكون أمه قد خانت أبى ... ومن أجل ذلك هو يفعل به كل هذا ... أو أن يكون شقيقى قد اقترف فعلاً .. وهو ما زال صغيرًا .. ومن ثم فإن أبى يبغضه ويعاقبه عليه حتى ذلك الحين .. كل هذه الأسئلة مرت فى عقلى بدون

Looloo
www.looloolibrary.com

إجابة .. وعندما قررت السؤال عن ذلك كان الوقت قد تأخر جدًا أو بمعنى أدق .. فلم يكن السؤال ذا جدوى آنذاك .. قبل أن أنسى لقد كان مستر (جون) جارنا فى ذلك الوقت .. ومستر (جـون) هـذا كان من الأثرياء فى ذلك الوقت .. وكان دائم النـزاع والشـجار مع أبى بسبب شقيقى (تونى) .. بسبب ضرب أبى المبرح له وجلده بالسياط على تلك الشجرة .. المجاورة لبيتنا وكلما كان مستر (جون) يتحدث مع أبى ويتشاجر معه بشأن شقيقى كلما ازداد بغض أبى لشقيقى .. وكلما صب جام غضبه عليه ومستر (جون) هذا تزوج بامرأة جميلة عاش معها حوالى عشر سنوات أو أقـل ... ولكنه لم ينجب منها ولم يهتـم كل منهما بذلك فقـد كان حبهما وعشق كل منهما للآخر أكبر وأعظم من أى شىء فى هذه الدنيا .. ولكنها ماتت إثر مرض خطير ولم تشفع لها نقوده أو ثراؤه فى إنقاذها مما هى فيه .. لذلك كان يحبنا أنا وشقيقى (تونى) مثل أولاده تمامًا .. ولكن حبه وغرامه وعشقه لنا .. لم يشفع لشقيقى (تونى) لدى أبى .. بل على العكس من ذلك .. لم يكن ذلك سوى نار تزيد وتزيد .. ولا يصطلى بها سوى شقيقى الحبيب .. وذات مرة هجمت علىَّ أحد الحيوانات مرة أخرى .. ورغم دفاع شقيقى المستميت عنى .. وبالطبع لن أنسى ذلك اليوم .. أبدًا .. فلولا أخى لكان قتلنى ذلك الحيوان ... إلاَّ أنه استطاع إصابتى وجرى بى أبى لمعالجتى .. ورغم علاجى فإن شقيقى الحبيب لم ينج من عقاب أبى .. وكان من نتيجة ذلك أن قرر أبى تركى لدى مستر (جون) حتى يتم شفائى وكم كانت فرحة هذا الأخير بسبب ذلك ... ولكن العجيب أن هذا القرار كان سببًا فى شقاء الآخرين .. فقد بكى الجميع بلا استثناء فقد بكيت أنا لفراق أبى وشقيقى .. وبكى أبى لفراقى عنه .. وبكى شقيقى لفراقى عنه ولاحظ أبى فى هذا اليوم بالذات شيئًا غريبًا وعجيبًا جدًا جدًا .. وطوال هذا اليوم

والذى كان أبى وشقيقى فيه فى الغابة هاجمتهم حيوانات كثيرة .. كثيرة جدًا ... بل أكثر مما ينبغى عن أى يوم آخر ... ذهب فيه أبى إلى الغابة ولم يستطع أبى فى هذا اليوم تقطيع أية أخشاب بسبب ذلك ..

أبدًا .. أبدًا ...

ولم يدر أبى سببًا لذلك الهجوم ..

أبدًا .. أبدًا .. مؤقتًا ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(14) شقيقى

ومضت الأيام وظللت أسبوعًا كاملاً .. لدى مستر (جون) وتعلق ذلك .. الأخير بى أكثر مما ينبغى بحق .. بل لقد كاد يصاب بالجنون عندما تركته وعلى الرغم من أننى قد تلقيت جميع أنواع الرعاية والعناية لدى مستر (جون) .. ولكن هذا لم يغننى عن أبى وشقيقى اللذين كادا أن يصابا بالجنون أيضًا .. من شدة حرمانهم منى والحق يقال .. فلم أكن أدرى .. أننى أعشق شقيقى (تونى) إلى هذه الدرجة .. ورغم حنان أبى الشديد الفياض على .. إلاَّ أن اشتياقى لشقيقى (تونى) كان أكثر بكثير من اشتياقى لأبى .. فأنا لن أنسى أن شقيقى وحبيبى (تونى) قد أنقذنى من الموت .. بيديه العاريتين ... ولولاه لكنت فى عداد الأموات الآن .. وعدت إلى عائلتى .. وكم كانـــت فرحتنا جميعًا بذلك .. ولن أكذب عليك إن قلت لك بأن مستر (جون) قد بكى فى هذا اليـــوم على فراقه لى فلم يدخر جهدًا لإسعادى وإدخال البهجة على وعدنا إلى حياتنا .. وما كنا عليه وبالطبع يجب ألا أنسى أن أبى كان يقوم بتكليف أخى بالأعمال الشاقة .. بينما أنا لا أكاد أفعل شيئًا تقريبًا .. وإن فعلت فلا أفعل سوى أسهل الأشياء وأبسطها .. وكان أبى يجعل أخى يحمل معظم الأخشاب التى يقوم أبى باستقطاعها من الغابة وإن تعب أخى أو لهث .. فلا يجد سوى سوط أبى .. لكى يرويه ولكنى كنت لا أتحمل ذلك فى حبيبى وشقيقى (تونى) فكنت أنا بالنسبة له كالماء المحروم منه .. والطعام الذى يعطيه له لكى يقيم أوده .. سيما وأن أبى كان لا يجعله يجلس معنا على مائدة الطعام .. فقد كنا نأكل أنا وأبى بمفردنا بينما كـــان (تونى) لا يأكل إلاَّ بقـــايا طعامنا .. ومع ذلك كان راضيًا ولم يكن حزينًا أو ساخطًا ورغم كل هذا ورغم كل شىء

فقد كان لا يزال يحـــب أبى ويعشقنى إلى درجة الجنـــون .. وبعد حوالى عام تقريبًا .. فكر أبى فى شىء ثم قرر تنفيذه وكان شيئًا غريبًا وعجيبًا بحق .. ألا وهو ..

وهنا توقف (دانى) عن سرد باقى روايته ثم نظر إلى ساعته .. ثم قال لها :

ــ لقد انتصف النهار وحان وقت الغداء .. وأود أن اعتذر لكِ .. عن ضياع هذا اليوم منك ..

فقامت (جين) فى خجل .. وهى تقول بذات لهجتها :

ــ أبدًا .. أبدًا .. يا مستر (دانى)

وكم تمنت أن تصرخ وتصرخ .. مطالبة إياه بالاستكمال ولكن حياءها وخجلها هما اللذان كبحا وكتما كل ذلك .. ثم أردفت والدماء تندفع إلى وجهها الجميل :

صدقنى يا مستر (دانى) ولن أكذب عليك ولن أبالغ .. إذا قلت لك ، وتهدج صوتها وهى تستطرد كلامها :

إننى أعتبر هذا اليوم .. هو أجمل أيام حياتى على الإطلاق .. ووقف هو ثم اتجه نحوها .. وترقرق الدمع فى عينيه .. وأمسك كلتا يديها وهو يقول لها :

بل شكرًا لكِ .. أنت .. إنه بالفعل أجمل أيامى على الإطلاق .. وتهدج صوته وهو يقول : اليوم شعرت ولأول مرة بالحياة .. وبأن قلبى له دقات ويدق مثل أى إنسان .. بل اليوم .. واليوم فقط .. أشعر وكأننى إنسان بعد أن فقدت كل هذه المشاعر والأحاسيس منذ زمن بعيد جدًا .. ثم

Loolo www.al-maktabeh.com

مال نحوها وقبل كلتا يديها وانتفض قلبها من فرط العشق وانتقلت انتفاضتها وارتعاشتها إلى جميع خلايا جسدها .. وكلتا يديها بصفة خاصة وشعر هو بارتعاشتها وطأطأت رأسها أرضًا .. من شدة الخجل والحياء .. وكانت فى هذا الوقت .. فى أبهى صورها على الإطلاق .. وكم تمنى أن يرتمى فى أحضانها فى ذلك الوقت .. وكم تمنت هى ذلك أيضًا .. وبلغ الشوق واللهفة فى قلبيهما .. وأعيانهما مبلغه .. ولكنهما استطاعا الصمود .. وكبح الخجل والحياء .. ومشاعرهما الجميلة .. فسألها محاولاً الخروج مما هما فيه :

كيف حال (كيم).. وجيلان معكِ ..؟ وكادت تجيب بالشكوى من (جيلان) إلاَّ أنه استطرد دون أن يدرى بماذا ستجيب أنا أعرف (جيلان) جيدًا ...

ــ لو أن هناك ثمة شكوى منها .. فقط أخبرينى .. وسأجعل (جون) يتصرف معها...

وينتقم منها لو أردت ..

فأجابته على الفور :

ــ كلا يا سيدى إنهن يعاملوننى كشقيقة لهن ..

وبالطبع قالت .. ذلك على خلاف الحقيقة لأنها لا تحب أبدًا أن تكون سببًا فى إيذاء شخص ما مهما كان .. ومهما فعل .. أبدًا .. أبدًا .. وسرعان ما أفسح لها الطريق .. وتأبط ذراعها فى تواضع ممزوج بالحنان قائلاً :

ــ والآن .. هل تسمح لى سيدتى الجميلة باقتيادها للخروج من هنا .. وأرجو ألا تغضب منى سيدتى ..

وهنا وضعت (جين) أناملها الرقيقة على شفتيه .. حتى لا يستكمل حديثه هذا .. وهى تقول فى توسل :

ــ أرجوك يا سيدى .. لا تخاطبنى هكذا ..

وأردفت قائلة فى صدق :

ــ فأنا لم أعتد على هذا طوال عمرى ..

فقال لها فى صدق متبادل :

ــ ولكنكِ تستحقين هذا ..

فأجابت :

شكرًا لك يا سيدى ..

والآن هيا فقد حان موعد الغداء فانطلقا حتى وصلا إلى الباب الفاصل فانتظرته حتى صعد هو إلى الطابق الثانى .. وفتحت هى الباب .. فوجدت مستر (جون) يتناول قدحًا من القهوة .. آنذاك .. فوجدته يبتسم على غير العادة .. ثم قال لها :

أرجو أن تكونى قد استمتعت اليوم .. يا عزيزتى فلم يسبق لأحد سواك .. أن قضى نصف النهار مع مستر (دانى) من قبل .. أبدًا .. أبدًا .. ثم استدرك قائلاً ، وقد ذهبت ابتسامته :

ولكن أرجو ألاَّ تكونى قد أغضبته .. فسألته مبتسمة

Looloo
www.looloolibrary.com

وهل تعتقد يا مستر (جون) ؟ أن مستر (دانى) لو غضب منى .. كنت سأمكث معه كل هـذا الوقت .. فابتسم لذكائها ثم قال :

هزمتنى أيتها الجميلة .. وسرعان ما انتهى من تناول قدح القهوة .. ثم أعطاه لها آمرًا :

ــ هيا لقد حان موعد الغذاء ..

وانصرفت إلى المطبخ .. تتابعها نظرات .. كل من (كيم) و(جيـلان) النارية .. والغيرة تكاد تأكلهما .. من شدة القسوة والغضب .. ولكنها لم تلتفت إليهما .. بل ولم تعرهم أدنى اهتمام .. فلم تكن كل منهما بالنسبة إليها .. فى تلك اللحظة بالذات إلاَّ شيئًا واحدًا .. وهو لا شىء بل لا وجود لهما .. من الأساس .. فقد كان كل ما يشغل بالها وتفكيرها .. آنذاك هذه التساؤلات ..

أين ذهب والده وشقيقه ؟

ماذا حدث لهما ؟؟

هل انفصل كل منهما عن الآخر ؟

هل هما على قيد الحياة ؟

فإذا كانا .. على قيد الحياة ..

فلماذا يعيش مستر (دانى) بمفرده ..؟

لماذا لا يعيش مع شقيقه (تونى) على الأقل ؟

أين ذهب (تونى) بالتحديد ؟

كيف أصبح مستر (جون) وهو جارهم خادمًا .. وتابعًا لديه .. وأصبح مدير منزله ..؟ لماذا يعيش مستر (دانى) هذه الحياة ؟

لماذا هو منفصل ومنعزل عن العالم ..؟؟

بهذه الطريقة .. وهذا الأسلوب ؟

ماذا يريد .. وماذا يبتغى من ذلك ؟

هل هناك ثمة هدف من ذلك ؟ وما هو هذا الهدف ؟

هـل هناك ثمـة شىء يخفيه مستر (دانى) ؟ هل ارتكب جريمة ما ؟ ومن أجل ذلك يحـاول الاختبـاء .. وارتعب قلبها عند توصلها لذلك .. هل انفصل عن أهله .. والده .. شقيقه ..

هل قام بطردهم ؟

أم هما اللذان قاما بطرده ..

لقد قال أن مستر (جون) كان ثريًا ..

هل كان ذلك هو السبب ..؟

هل اشترى مستر (جون) مستر (دانى) ؟

هل عرض الأول على الثانى المال فقبل ؟

هل فضل الثانى .. الأول ؟

وترك شـقيقه (تونى) لأنه يحب مستر (دانى) أكثر .. وأكثر .. نظرًا لأنه قد تعلق به .. عندما كان مصابًا ، ومقيمًا معه آنذاك .. هل من أجل المال فعل مستر (دانى) كل هذا ؟

Looloo www.looloolibrary.com

باع .. وترك .. أهله ..

هل من المعقول أن يفعل مستر (دانى) ذلك ؟

هل هذا ما فعله بالفعل ؟

لأجل ذلك .. ربما يشعر بتأنيب الضمير .. مما يجعله منفصلاً .. ومنعزلاً .. عن العالم الخارجى .. ولكنه وصل مبلغًا من العلم لا بأس به .

فلماذا ترك كل هذا .. وذاك ..؟

ما السر الذى يخفيه مستر (دانى) ؟

وما السر الذى يخفيه مستر (جون) ؟

لماذا لا يصعد ثمة أحد إلى غرفته ؟

إلا إذا أراد هو ذلك ؟

هل من المعقول .. أن مستر (جون) ؟

هو الذى يقوم على خدمته بهذه .. القوة والأمانة .. والحب .. والشغف .. والاهتمام .. وعدم الملل .. لقد شاهدت غرفته .. ومعمله .. وهما فى غاية النظافة .. والنظام والترتيب أيضًا .. فكيف ؟.. وقطع حبل أفكارها وتساؤلاتها .. صوت (جيلان) وهى تقول فى غيرة واضحة :

ـ الطعام جاهز ...

فحملت (جين) الصينية .. وذهبت بها على الفور إلى مستر (دانى) .. وفتح لها مستر (جون) الباب .. المؤدى إلى القسم الثالث والرابع .. وصعدت هى إليه .. وقبل أن تصل إلى باب غرفته بثلاث خطوات تقريبًا ..

فتح لها (دانى) الباب وأصابتها الدهشة من ذلك وأخذ منها صينية الطعام .. وحاولت معه المستحيل لكى يستكمل روايته .. ولكن باءت كل محاولاتها بالفشل الذريع .. وقال لها :

بأنه سيخبرها بكل شىء فى المساء .. فانصرفت تجر أذيال الخيبة .. وقد أدركت بأنه لن يروى لها ثمة شىء إلاَّ مساءً .. كما أخبرها ..

ولكن كيف ستصبر حتى يحين المساء ..

والفضول يكاد يلتهمها التهامًا ..

ولكنها لا تملك من الأمر شيئًا ، وليس عليها سوى أن تفعل شيئًا واحدًا الصبر .. حتى يحين المساء ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(15) المعمـــل

فى المساء .. ذهب مستر (توم أرمسترونغ) إلى صديقه (دانييل ويست) صاحب أكبر المعامل للتحاليل .. سواء كان بشريًا أم بيطريًا .. سيما وأن ذلك المعمل ينقسم إلى قسمين أحدهما خاص .. بالنوع الأول .. والثانى خاص بالقسم الثانى .. وبعد اللقاء وإلقاء التحية والسلامات والمداعبات .. سأل (توم) صديقه عن نتيجة التحاليل الخاصة بقطعة الماشية المأخوذة من مزرعة مستر (إيدى) فأجابه صديقه :

بأن هذه القطعة وضعت فى الثلاجة بعد فترة من الوقت .. مما جعل الجراثيم والبكتيريا .. تنتشر فى جميع أنحاء هذه القطعة .. مما أخفى حقيقة الأمر .. بل إنه أصبح من المستحيل معرفة نوع ذلك الحيوان .. أو ذلك الكائن الذى قام بذلك .. واعتذر صديقه (دانييل) له .. لأنه كان يتمنى خدمته وكان يتمنى معرفة ذلك الأمر مثله تمامًا واستدرك قائلاً :

ــ ولكن ما باليد حيلة ..

وأضاف قائلاً :

إن ذلك الحيوان .. وذلك الكائن سيأتى يوم ... ويهجم مرة أخرى .. وبالتأكيد سنلاحقه آنذاك .. وسنعرف كنهه وحقيقته .. وربما نصطاده أيضًا واستدرك قائلاً :

ولكن الأمر لا يحتاج إلاَّ إلى بعض الصبر .. ربما الكثير من الصبر ليس إلاَّ ونزل مستر (توم) إلى الشارع وهو لا يدرى إلى أين يذهب ؟

أيذهب إلى مستر (إيدى) أولاً ؟ كما وعده بذلك ؟

أم يذهب إلى المأمور (هاريسون) أولاً ؟ كما أمره بذلك ؟

وفى النهاية حسم أمره .. وقرر الذهاب إلى المأمـــور أولاً ، سيما أنه لا يحمل أخبارًا ذات قيمة .

* * *

وفى المســاء .. كــان (بول) ورجاله .. قــد انتشروا فى الغابة .. بل واستطاعوا إحضار ثلاثة رجال آخرين .. من زملائهم فى الشرطة وانقسم الرجال .. إلى مجموعات ثلاث .. وشرعوا يمشطون المنطقة وينبشونها شبرًا شبرًا .. وكان معهم أحد خبراء اقتفــاء الآثار فى هذه المرة .. ولكن بلا فائدة ولم يستطع أى منهم الوصول إلى ثمة شىء حتى الخبير الذى كان برفقتهم .. ولكنهم استمروا.. وشرعوا .. يبحثون .. ويبحثون ..

فى ذات الوقت كان مستر (توم) قد وصل إلى المأمور وأخبر الأول الثانى بكل شىء .. فى أثناء تناوله لقدح القهوة .. وأنه لم يتم التوصل إلى ثمة شىء .. وأن ما عليهم سوى الصبر .. حتى يظهر ذلك الكائن مرة أخرى .. وساعتها سيكون جميع الرجال فى انتظاره .. وربما .. وربما يمكن قتله .. أو حتى اصطياده .. وقال المأمور فى لهجة تجمع ما بين التفكير .. والخوف .. معًا ..

جل ما أخشاه .. أن ينجح ذلك الكائن فى قتل رجالنا .. أو أحدهم على الأقل .. قبل الوصول إليه .. ثم استطرد كلامه قائلاً : فأنت تعرف .. أن (مارك) قد نجا .. من غدر ذلك الكائن اللعين بأعجوبة

Looloo www.looloolibrary.com

فقال (توم) مطمئنًا :

ــ لا تخشى شيئًا أيها الرئيس .. رجالنا أقوياء أشداء .. وسيستطيعون .. هزيمته مهما فعل فى نهاية الأمر ..

فى ذات الوقت .. كان مستر (إيدى) .. ورجاله .. فى غاية التحفز .. والنشاط .. والقوة .. والإصرار .. على حماية المزرعة بماشيتها مهما تطلب الأمر .. وكانوا يحرسون المزرعة .. ويدورون حولها .. مرات ومرات .. بدون كلل أو ملل فى نشاط جم .. وشرعوا ينتظرون ..

ويبحثون ..

ويبحثون ..

* * *

ــ حان وقت العشاء .

دوت هذه العبارة فى رأس (جين) كالقنبلة .. وهى تنتظر حلول موعد العشاء .. بفارغ الصبر .. لكى تصعد إلى مستر (دانى) .. لكى تعرف باقى قصته .. سيما وأنها قد اشتاقت إليه بالفعل .. ولا تجرؤ على إنكار ذلك .. ولكن الشوق .. واللهفة لمعرفة باقى القصة .. كادا يقتلانها أكثر .. وأكثر .. وقبل الميعاد كانت فى المطبخ .. وبدون كلام مع أى أحد .. حملت صينية الطعام فى صمت .. وانصرفت .. إلى سيدها ومخدومها .. أو بمعنى أدق إلى حبيبها .. ولم يتناهى إلى سمعها صوت (جيلان) وهى تقول فى همس :

يبدو يا عزيزتى (كيم) أن زميلتنا الجديدة قد أصابها التكبر .. نظرًا لصعودها المستمر إلى سيدها .. ومخدومها .. ويبدو أيضًا أنها أصبحت تشعر بأنها أفضل منا مكانة حتى أنها أصبحت لا تتحدث معنا .. (وأردفت قولها فى غيرة واضحة) .. وهذا شىء لا ينبغى السكوت عنه .. بل ويجب وضع حد لـ ...

فقاطعتها (كيم) وهى تقول بذات اللهجة الهامسة :

ــ أرجوكِ يا (جيلان) أخفضى صوتك ...

لا نريد مشاكل مع مستر (جون) ...

فنظرت إليها (جيلان) نظرة لا تحمل معنى واضحًا .. ولكنها أصيبت بالرعب منها .. إلى أقصى درجة .. ولم تستطع هذه الأخيرة فهم هذه النظرة .. أبدًا .. أبدًا .. ولكنها أدركت بأن الأولى .. سوف تدبر شيئًا ما وأن عليها أن تتحمل العواقب ... بينما هرولت (جين) بالصينية .. فتقابلت مع مستر (جون) الذى فتح لها الباب .. المؤدى إلى القسم الثالث والرابع ... إلى حيث غرفة مستر (دانى) وهرولت هى فى أثناء صعودها حتى أنها كادت تتعثر وتسقط بالطعام أرضا .. ولكنها استطاعت لحاق نفسها ، وكما حدث فى الغداء حدث فى العشاء .. فقبل أن تصل إلى باب غرفته .. بحوالى ثلاث خطوات .. كان هو قد قام بفتح الباب فابتسمت هى قائلة :

ــ يجب أن أعتاد على ذلك ..

فحمل منها الصينية .. وهى تخطو إلى غرفته .. وهو يقول لها :

ــ لقد اشتقت إليكِ كثيرًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وسرعان ما جلس ووضع الطعام .. على المنضدة ثم قال مداعبًا :

ــ هل تسمح لى سيدتى بمشاركتى الطعام اليوم ..؟

فرفعت حاجبيها فى دهشة ممزوجة بالتأثر فطوال حياتها فى سنى الخدمة .. لم يطلب منها ثمة أحد هذا الطلب .. حتى فى بيت مستر (روجر) ولأنها قد تأثرت بشدة من ذلك الطلب .. لدرجة أن الدمع قد ترقرق فى عينيها .. ووجدت أنه من سوء الأدب أن ترفض له هذا الطلب .. وهو أول طلب يطلبه منها .. وعلى الرغم من كونها غير جائعة .. إلاّ أنها استجابت له .. وجلست معه على مائدة الطعام لتشاركه .. وفى خضم استمتاعه بالطعام .. لاحظ وجود قطرتين من الدموع يقفان على استحياء على بابى عينيها .. وفى هدوء ممزوج بالحنان مسح دموعها بأنامله الرقيقة .. ثم سألها فى تأثر .. وقد توقف عن الطعام :

ــ لماذا ؟

فأجابته فى تأثر .. وقد أطلقت العنان لدموعها :

ــ لقد عشت طوال عمرى .. وأنا خادمة ولم أعش يومًا وأنا أشعر بأننى أفضل من هذا ..

ثم استدركت قائلة :

ــ ولكن اليوم .. بجلوسى إلى جوارك ....
شعرت بأننى ..

وتهدج صوتها واختنق بالبكاء .. ولم تستطع الاستكمال .. وفهم (دانى) على الفور ما ترمى إليه .. فقام بأقصى سرعة .. ثم أمسك كلتا يديها

لتقف معه .. ولم يستطع كبت مشاعره أكثر من هذا ... فاحتضنها على الفور .. وارتمت هى فى أحضانه .. وشرعت تبكى وتبكى وتبكى ..

وعندما هدأت من نوبة بكائها أجلسها فى هدوء ثم قال لها مبتسمًا :

ــ هل اشتقت إلى المعمل ..

فابتسمت بدورها فتأبط ذراعها .. واتجها سويًّا نحو المعمل .. وجلس كل منهما على الكرسى الخاص به .. وطفق هذا الأخير يسألها فى خبث :

ــ أين توقفنا فى المرة ..

فقاطعته على الفور :

عندما فكر والدك فى شىء .. ثم قرر تنفيذه وكان هذا الشىء غريبًا .. فقاطعها هو فى هذه المرة مبتسمًا :

نعم .. نعم لقد.. تذكرت ..

وذهبت الابتسامة من وجهه .. وحل محلها العبوس الشديد .. عندما تذكر ما سيقوله .. وشرد ببصره قليلاً .. ثم قال فى حزن شديد :

هذه الفكرة باختصار شديد .. لقد شعر أبى ولست أدرى كيف انتابه هذا الشعور الغريب بأن الحيوانات فى الغابة تهجم علينا بسبب أخى ... فماذا فعل ليتأكد من شعوره هذا ؟.. وأجاب على نفسه قائلاً :

لقد تركنى فى هذا اليوم عند مستر (جون) وللأسف حدث ما توقعه أبى .. وهاجمتهم بالفعل بعض حيوانات الغابة .. ولم يتأخر أبى فى ذلك اليوم .. على غير العادة وفى اليوم التالى .. ترك شقيقى (توم) لدى مستر (جون) والغريب أن هذا الأخير قد قبله على مضض ... وذهبت مع

Looloo www.looloolibrary.com

أبى إلى الغابة .. وتحقق له ما توقعه .. لقد كنا نمشى أنا وأبى بجوار بعض الحيوانات .. وكان أبى يفعل ذلك متعمدًا .. دون أن تتحرك هذه الحيوانات من مكانها .. وعلى الرغم من دهشة أبى .. ولم أكن أعرف ثمة شىء .. عن ذلك بالطبع إلاَّ فيما بعد .. وتأكد شعور أبى .. آنذاك .. وشرد (دانى) ببصره قليلاً .. وهو يتذكر تلك الأيام البعيدة .. واحترمت هى صمته وشرع هو يجتر تلك الذكريات المريرة المؤلمة .. وشعرت هى بآلامه وعذابه .. وترقرق الدمع فى عينيه فقالت له مشاركة إياه فى حزنه :

ــ إذا كنت تريد الاستكمال فى ...

فقاطعها هو مستكملاً روايته وكأنه لم يسمعها :

ومضت الأيام وتغيرت الأحوال بالطبع .. من سيئ إلى أسوأ .. وأصبح أبى يعامل شقيقى أشد قسوة .. وأشد ضراوة عن ذى قبل .. وأصبح بغض أبى وعذابه له سافرًا .. لقد أصبح أخى أقل من العبيد .. بل أقل من الحيوانات فى المعاملة .. ورغم كل ذلك صبر أخى وتجلد .. إلى أقصى درجة .. من ضرب وجلد وتعذيب وإهانة .. وتكليف بأشق الأعمال .. وربط فى الشجرة الخارجية لفترات طويلة .. لقد كان أبى يتذرع له .. لكى يقوم بتعذيبه بشتى الطرق .. وذات مرة أخذنى أبى .. إلى مكان عبارة عن تبة ترابية عالية .. فى الغابة خالية من الأشجار .. وهنا وقف (دانى) وهو يروى قصته .. وكأن ما تذكره .. من قسوته .. أجبره على الوقوف .. ولم يستطع الجلوس أكثر من ذلك .. ثم أخذنى إلى تلك التبة الترابية .. أكثر من مرة .. حتى لقد كدت أحفظ الذهاب إليها عن ظهر قلب .... وعندما سألته عن سبب زيارته إلى هذا المكان .. أجابنى قائلاً :

ــ بأن هذا المكان بالنسبة له .. هو أفضل مكان فى الغابة ... وأنه يعشق الجلوس فيه .. وذات مرة تجرأت وسألت أبى :

لماذا تكره أخى إلى هذه الدرجة ..

وتعامله بهذه الطريقة البغيضة ؟

فأجابنى وكأنه كان ينتظر هذا السؤال وقد تغير صوته : لأن شقيقك دميم .. قبيح الوجه ، فسألته ببراءة الأطفال : ولماذا تعشقنى أنا ؟

فأجابنى أبى .. وقد تغير صوته إلى النقيض :

لأنك جميل الوجه .. بهى الطلعة ..

وشرع يروح ويجىء وكأنها غبر موجودة : تخيلى أب يقوم بتعذيب نجله ومعاملته بأقل من العبيد والحيوانات من أجل ذلك .. وترقرق الدمع فى عينيه مرة أخرى ، وهو يجتر تلك الذكريات البغيضة مستكملاً روايته :

عندما أقول لكِ أقل من العبيد والحيوانات ، فهذا لا يعنى سوى أنه لا ينام إلاَّ على الأرض ... ولا ينام على فراش مثلنا .. لا يأكل معنا .. كما قلت لكِ من قبل .. بل كان يأكل من بقايانا .. كان يقوم بأشق الأعمال .. كان يحمل أثقل الأخشاب .. وأحيانًا تكسيرها .. كان يتلقى الضرب والإهانة والتعذيب والجلد بالسوط لأتفه الأسباب .. مهما بكى .. مهما اشتكى .. مهما ذرف من دموع .. لم يكن ذلك سببًا للحنان أو الشفقة عليه .. بل كان سببًا لتعذيبه أكثر وأكثر .. لذلك كان عليه أن يتعذب وأن يجلد .. وألا يبكى وهو طفل لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره .. بينما أنا كنت أنعم بكل الحنان .. وبكل شىء جميل وجيد ... فى هذه الدنيا لدرجة .. أننى أنا الذى كنت أبكى عليه أكثر منه وأنه .. هو الذى كان يواسينى

www.looloolibrary.com

ويصبرنى .. ولا يحرضنى على أبى .. وطوال عمره لم يعارض أبى .. ولم يكسر له أمرًا .. ولم يعبس فى وجهه قط ..

عند هذا الحد فقد (دانى) القدرة على الاستكمال .. وجلس على ركبتيه أرضًا .. ودفن وجهه بين راحتيه .. وشرع يبكى ويبكى .. ويبكى ..

لدرجة الانهيار .

* * *

(16) الحنـان ... والقسـوة

سرعان ما هرعت (جين) .. إلى سيدها وحبيبها .. وأحاطته بذراعيها ورعايتها وحنانها .. وكان هو يحتاج إلى ذلك .. فارتمى فى أحضانها.. وشرع يرتوى مـن حنانها .. الحنـان الذى لم يشعر به أبدًا .. أبدًا .. بلذته .. لأنه كان دائمًا على حساب شقيقه .. واستطاعت (جين) أن تهدأ من روعه وثورته .. واستطاع هو التماسك والوقوف على قدميه مرة أخرى .. وساعدته على الجلوس .. وأحضرت له كوبًا من الماء من الدوارق التى يمتلئ بها المعمل .. ولكنها سألته قبل أن تعطيه الكوب :

ـ معذرة يا سيدى .. هل هذه المياه نظيفة ؟

فابتسم لسؤالها .. وأخذ الكوب منها .. وشربه على جرعة واحدة .. وفرح لسؤالها مرتين .. أولاً لخوفها الشديد عليه ، وثانيًا لأنها جعلته يبتسم فى حالته هذه .. وعندما أخذت منه الكوب .. أمسك بيدها آمرًا :

ـ من الآن فصاعدًا لا تنادينى سوى بـ (دانى) .. (دانى) فقط ..

فقالت له فى خجل :

ـ أمرك يا ....

فقاطعها قائلاً :

ـ (دانى) ... اسمى هو (دانى)

فقالت له فى حياء شديد وبصوت غير مسموع :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لقد اعتدت طوال عمرى على كلمة سيدى يا ....

فنظر إليها معاتبًا :

ــ (دانى) ..

نزلت الكلمة على سمعه .. وكأنها أعذب موسيقى فى التاريخ .. واستطاعت إخراجه نوعًا ما مما هو فيه .. فقالت وهى آمرة بلهجة مداعبة :

ــ هيا يا (دانى) .. أكمل روايتك ..

فشرد ببصره قليلاً .. وهو يجتر الذكريات المؤلمة المريرة .. فما هو آت .. أشد قسوة .. مما مضى .. وانتزع الكلمات من نفسه .. وفمه انتزاعًا .. وهو يستكمل روايته قائلاً :

وعلى الرغم من أن أبى .. كان يفعل ما يريد .. وما يبتغى .. وما يشتهى .. وقتما يريد وكيفما يريد .. وحيثما يريد .. دون رادع .. أو حائل .. يمنعه أو يوقفه عن فعل كل ما يريد .. إلاَّ أن ذلك لم يكن كافيًا بالنسبة له .. فحسم أمره واتخذ قراره .. ولست أدرى حتى الآن لماذا فعل هذا ...؟

وذات يوم من الأيام استيقظت من النوم .. فلم أجد أبى .. وشقيقى .. وعلى الرغم من أن هذا الأمر .. ليس شاذًا أو غريبًا .. وحدث من قبل مئات المرات .. واستدرك قائلاً :

ولكن ما جعل الهواجس تهاجمنى .. وتنبئنى بأن شيئًا ما رهيبًا سوف يحدث .. هو أن أبى قد جعل أخى ينام بجوارى لأول مرة منذ إدراكى

للأمور .. والأمر الثانى أن أبى من المستحيل أن يخرج .. من البيت قبل إيقاظى بكل حنان .. وتقبيلى .. واحتضانى .. حتى أننى كنت أحيانًا أتعجب كثيرًا .. من أبى وأقول فى نفسى .. كيف ؟

كيف استطاع شخص .. مثل أبى ..

أن يجمع .. بكل إتقان .. لكل هذا القدر .. من النقيضين .. الحنان والقسوة .. البغض والحب ؟.. فضلاً عن أبى .. كان يتذرع بأنه يبغض شقيقى لأنه دميم ... كيف هذا فى حين أبى بذاته كان دميمًا .. ربما .. ربما .. لهذا كان يبغضه .. يومها كنت لم أبلغ العاشرة بعد .. وشعرت بأن أمرًا ما جللاً سوف يحدث .. وجال بخاطرى تلك التبة الترابية .. بأن أبى من الممكن أن يكون هناك .. هو وأخى .. لآخر مرة .. وخرجت من البيت .. بكل قوة .. لست أدرى حتى الآن .. لماذا شعرت بهذا ؟.. أو كيف حتى الآن .. واستدرك قائلاً :

ولكنى رأيت بقلب الطفل البرىء .. العاشق لشقيقه .. ووقف من مكانه مرة أخرى .. وهو يروى ويستطرد : وشاهدنى لدى خروجى مستر (جون) .. وألقى على التحية .. ولكنى لم أجبه .. وجريت وجريت .. وجريت .. وجريت .. حتى وصلت .. وطوال الطريق .. وأنا أقاوم انفجار قلبى .. وساقى .. وعندما وصلت يا لهول ما رأيت .. وعلى أحد الأشجار صعدت .. لم يكن مكانى .. بعيدًا أو قريبًا .. ولكنى شاهدت ..

واتسعت عيناه .. وهو يروى :

لقد كان أخى وحبيبى (تونى) مقيد اليدين والقدمين والفم بإحكام .. غير معصوب العينين .. بينما أبى كان يحفر ويحفر .. حفرة كبيرة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أو بمعنى أدق .. قبرًا .. لأخى .. لكى يدفنه فيه حيًّا .. كم تمنيت أن تكون لدى من القوة والشجاعة .. كى أمنع تلك الجريمـــة .. ترى لو تدخلت ماذا سيفعل أبى ..؟ أيقتلنى معه .. وإن لم يقتلنا نحن الاثنين معًا .. سيأتى يومًا .. ربما ويقيدنى أنا .. ليقوم هو بجريمته .. سيما وأن هذا الأخير .. كان عازمًا على ارتكاب جريمته .. مهما كان الثمن .. ونظرت إلى شقيقى .. من مكانى نظرة الوداع .. نظرة الحزن والشفقة .. وهو ينظر إلى والده الذى يحفر له قبره .. أمام عينيه لكى يدفنه فيه حيًّا .. وانتهى أبى أخيرًا من الحفر .. وترقرق الدمع فى عينيه آنذاك .. وهو يتذكر دموع شقيقه الأخيـــرة .. ووالده ذا القلب الحجرى يحمل نجله حيًّا .. لكى يئده .. ويواريه التـــراب .. وكما قلت لكِ من قبـــل .. لقد كان أخى ذا قوة غير عادية .. استطاع التملص من قيود يديه .. ولكنه لم يهرب .. اللعنة عليك يا أخى .. يا ليتك كنت هربت .. لقد كان مطيعًا لأبى حتى فى لحظاته الأخيرة .. وانهمرت الدموع من عينيه آنذاك .. وارتعش جسده كله آنذاك .. من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه .. ووقف أبى يحمل شقيقى على حافة القبر .. قائلاً له فى تشفٍ :

أخيرًا أيها الملعون سأتخلص منك .. وفى لحظات كان أخى قد فك وثاق يديه والكمامة التى على فمه قائلاً :

ــ أرجوك يا أبى .

فرماه أبى فى الحفرة بأقصى سرعة .. وقفز خلفه وهو يحمل فأسه .. وكاد ينـــزل عليـــه به .. حتى أنى كدت أقفـــز من مكانى ... رغم علمى بأن قفزتى لن تمنع شيئًا .. مما بدأه أبى .. وصرخ أخى .. انتظر .. انتظر

يا أبى أرجوك .. وتوقفت يد أبى الحاملة للفأس فى الهواء .. للحظات لا تأمن غدرها أو شرها .. ثم قال أخى من بين دموعه بكل حنان :

ــ أريدك أن تعرف يا أبى .. أنه رغم كل قسوتك علىَّ .. وأننى لم أر منك ذرة حنان .. مثل أخى .. والتى كنت تنثرها عليه .. ليلاً نهارًا .. عيانًا جهارًا .. وكل تعذيبك وجلدك لى .. أريدك أن تعرف تمامًا أننى قد سامحتك أيضًا .. عليه ..

بل إننى أحبك .. أنت وأخى ..

فأجابه أبى بكل قسوة ممزوجة بالغلظة .. ولست أدرى كيف أتى أبى بكل هذه الغلظة :

ــ لا تحسبن كل هذا الكلام سينجيك .. مما أنت فيه فأجابه أخى بحنان أكثر وأكثر ممزوج بالانكسار .. وقد بدأت ارتعاشة جسد (دانى) تزيد .. وتزيد :

كلا يا أبى .. إننى لا أبغى النجاة مما أنا فيه ولتعلم أيضًا .. أننى كنت قادرًا على الهرب .. ولكننى حريص على طاعتك حتى النهاية .. وحتى وأنت تحفر قبرى أمام عينى .. ولتعلم أيضًا أننى أسامحك على جريمتك هذه وعلى قتلك إياى .. الآن ..

وقال (دانى) .. وهو ينتفض من قسوة والده آنذاك :

ــ ماذا دهاك يا أبى .. كيف حملت كل هذه الغلظة آنذاك .. أنى لك قتل ولدك فلذة كبدك ..

أين ذهب حنانك وعطفك وشفقتك ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

وانهمرت الدموع من عينى (جين) مشاركة إياه حزنه ودموعه .. وتذكر مرة أخرى شقيقه (دانى) وهو يقول : أبى .. طوال عمرى وأنا لم أطلب منك .. ثمة شىء .. ولتعتبر هذا هو أول وآخر طلب لى عندك .. ضع قماشة على وجهى لتحمينى من التراب .. وكفى عليك أن أموت خنقًا ..

فنظر إليه أبى بنظرة خاوية من أدنى عطف أو شفقة وسرعان ما أحضر حبلاً آخر .. أقل غلظة من قلبه لكى يعيد وثاق يديه مرة أخرى .. قبل دفنه ..

وعندما حاول أبى أن يمسك يديه لكى يعيد وثاقهما جيدًا .. قال بكل حنان الدنيا :

أبى .. انتظر ..

وكان أبى فى تلك اللحظة مانلاً عليه .. يحاول أن يمسك يديه فى الحفرة .. لكى يعيد وثاقه جيدًا .. قبل دفنه .. وكان لأبى لحية غير مستوية .. فأزال أخى ذرات التراب بكل حنان .. من على لحيته وهو يقول له .. كلماته الأخيرة :

أقسم لك إننى قد سامحتك يا أبى .. وأقسم لك إننى سأفتقدك .. وسأشتاق إليك أنت وأخى ..

فأجابه أبى بكل قسوة وغلظة :

أما أنا فلا ولن أفتقدك أبدًا .. وكانت هذه هى آخر كلمات (تونى) قبل أن يعيد أبى وثاقه بكل غلظة .. ثم يهيل عليه التراب بكل قسوة .. بدون أدنى شفقة منه .. وهال التراب على وجهه .. بدون قماشة .. ورفض

طلب شقيقى الأخير بكل صلف وتكبر .. وقسوة وغلظة .. وبعد أن دفن أخى .. ظل يضرب على الأرض بقدميه أو بمعنى أدق .. ظل يضرب على قبره كثيرًا .. ليتأكد من استواء الأرض .. آنذاك ..

وانصرفت .. آنذاك .. بعد أن شاهدت مقتل شقيقى ودفنه حيًا .. بأم عينى وخشيت أن يعلو نحيبى وبكائى على شقيقى .. أكثر مما ينبغى فيدفننى أبى بجوار شقيقى .. وظللت أعدو .. وأعدو فى الغابة على غير هدى .. وقد اسودت الدنيا أمام عينى .. ولم أعد أرى ثمة شىء نهائيًا .. وظللت أعدو .. وأعدو .. وأعدو .. حتى فقدت الوعى من هول ما رأيت .. ومن شدة ما عانيت .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(17) التـــراب

عند هذا الحد كان (دانى) عندما استعاد قسوة هذه الذكريات المريرة .. - والظلم الشديد الـذى حـاق بشقيقه .. جلس على ركبتيه أرضًا .. وهو ينتفض .. وينتفض .. وينتفض .. ثم قال لها باكيًا :

هل تصدقين .. كل هذا الحنان ..؟

وكل هذه القسوة ؟ أن يحفر أبى قبره أمام عينيه .. ويدفنه حيًا .. ويرفض وضع قماشة .. على وجهه .. بكل قسوة وغلظة بينما شقيقى .. وبكل حنان الدنيا يقوم بإزالة ذرات التراب من على لحيته .. ويخبره بأنه يسامحه .. وسيشتاق إليه وإلى .. فلا يجيبـه فى لحظاته الأخيـرة .. إلاّ بكلمة لا .. لن أفتقدك أبدًا ..

وكان هذا أكبر من احتمال (دانى) .. سيما وأنه ولأول مرة منذ حدث هذا الأمر .. منذ ما يربو على الأربعين عامًا .. يرويه لثمة أحد .. كان يحاول دائمًا وند قسوة هذه الذكريات .. بدفن نفسه فى العمل والتحاليل .. ولكن بلا فائدة .. لقد روى الأمر اليوم (لجين) .. وتم فتح وكشف الغطاء عن أقسى ذكرى وأبشع جريمة .. جريمة قتل .. ووأد أب لنجله .. حيًا .. وسقط على الأرض .. وشرع ينتفض وينتفض .. ويتلوى يمينًا ويسارًا .. وهو يتألم .. ويتألم .. ويعانى .. ويعانى .. و(جين) تروح وتجىء .. ولا تدرى ماذا تفعل .. فهى أول مرة تتعرض فيها لهذا الموقف ... فقد كان على ما يبدو .. أنه قد أصيب بنوبة صرع .. من جراء سوء الذكرى .. وقسـوة الجريمة .. وفـكرت فى أن تخـرج مـن المعمل .. لتخبر مستر

(جون) .. بما يعانيه مستر (دانى) .. وعندما فكرت فى أن تخرج أو تتخطاه .. كان ما حدث ساعتها آنذاك .. رهيبًا .. رهيبًا .. بحق .. ولا يمكن وصفه .. لقد بدأ جسد (دانى) يتحول .. وهو ما زال يتلوى .. وكان جسده ينمو .. نعم ينمو .. ولم تتحمل ملابسه امتداد ونمو جسده .. فتمزقت ملابسه شر ممزق .. ونما شعر كثيف جدًا .. فى جميع أنحاء جسده .. مع نمو وامتداد جسده .. وتجمدت مكانها وهى تشاهد .. هذه الظاهرة الغريبة العجيبة .. ولأول مـرة فى حياتها .. ووقف هذا الكائن .. وهو يصرخ ويزأر .. بكل ما يمتلك من قوة .. وغضب .. وكان موليًا ظهره إياها آنذاك .. ودب الرعب فى قلبها وجسدها .. وأوصالها .. وطفقت تتراجع فى رعب .. وهى تنظر حولها ولا تجد مكانًا .. يصلح للاختباء .. أو بمعنى أدق .. من شدة الخوف .. لم تشاهد ثمة شىء .. يصلح للاختباء آنذاك .. وتذكرت قوله لها فى تلك اللحظة .. عندما دلفت معه للمعمل لأول مرة :

فأحيانًا عندما أتضايق أقوم بتكسير أى شىء أمامى .. ساعتها ... وساعتها فقط فهمت تلك العبارة .. ولكن للأسف فهمتها متأخرًا .. متأخرًا جدًا .. وفى اللحظة التى حاولت إخراج نفسها فيها .. من قمة الرعب التى تعيش فيها .. قررت تحريك قدميها التى أصيبت بالشلل .. التفت إليها الكائن بوجهه المخيف .. وعينيه التى يتطاير منهما الشرر .. وطوله الفارع .. وجسده الذى يشبه الغوريللا .. من كثرة وكثافة الشعر الذى يملأ جميع أجزاء جسده المخيف .. وفى ذات اللحظة التى قررت وندت منها ثمة حركة .. للاتجاه نحو أحد الأعمدة للاختباء .. التفت إليها الكائن واستثارته هذه الحركة لأقصى درجـة ونظر إليها .. نظـرة الصياد إلى

Looloo www.looloo-library.com

فريسته .. وشرعت تنتفض من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها .. وخافت لو تحركت .. أو صدرت منها ثمة حركة أخرى .. تستثيره أكثر وأكثر فيفترسها .. ويقتلها .. أو يأكلها .. فتجمدت فى مكانها .. ولم يندى منها ثمة حركة .. وشرع كل منهما ينظر إلى الآخر .. وهى تنظر إليه فى قمة الرعب .. وهو ينظر إليها فى قمة الغضب .. وحارت كثيرًا فى شكل هذا الكائن .. فهو لا يشبه أى كائن معروف على وجه الأرض .. وتعجبت كيف تحول (دانى) الوديع اللطيف .. إلى ما أصبح عليه الآن .. ولاحظت أن ذراعه الأيمن أطول من ذراعه الأيسر ولم تطل فترة الصمت طويلاً .. فشرع يصرخ ويزأر .. مرة أخرى .. وهى تغلق عينيها .. من قسوة وعلو صوته ورعبها .. وأخيرًا حسم الكائن أمره .. واتخذ قراره .. واتجه نحوها بكل ثقة وسرعة وقوة .. محطمًا ومدمرًا كل ما يعترض طريقه .. حتى وصل إليها .. وأمسكها بيده اليمنى من رقبتها .. وحملها وشرع يمشى بها .. وقد ارتفع جسدها فى الهواء .. لحوالى نصف متر تقريبًا .. ويده تعتصر رقبتها بلا رحمة .. واختنقت وذهب الهواء من جسدها بلا رجعة .. ولكنها لم تقاوم .. كانت تشعر بأنه سيعود .. وأنها نوبة .. وستمر .. ولكن خاب ظنها .. وظل يمشى بها .. حتى ضرب جسدها ورأسها بالحائط .. وسمع صوت تحطم عظام رقبتها على يديه .. وشاهد الرعب والآلام .. وقد ارتسمت على وجهها .. بأشنع صورها .. ثم شاهد بريق الحياة .. وهو يخبو رويدًا .. رويدًا من جسدها .. ووجهها .. وعينيها .. وهى تنظر إليه نظرة ألم ممزوجة بالعتاب .. وارتخى جسدها بعد أن ذهبت منه الحياة .. بلا عودة وثقل جسدها على يديه .. وشرع يفوق من نوبته .. ولكن بعد فوات الأوان .. بعد أن ماتت وارتكب جريمة

أخرى .. لأعز الناس لديه .. ولمن ..؟ حبيبته وعشيقته .. وسقط جسدها أرضًا .. وبدأ يعود هو لحالته الطبيعية .. ولم يستح من نفسه هذه المرة لكونه عاريًا .. وإنما شرع ينظر إليها نظرة المكلوم .. الذى فقد أعز وأغلى حبيب .. أو بمعنى أدق.. الذى قتل .. أعز وأغلى حبيب فى الوجود كله .. واستعاد هيئته البشرية بالكامل .. ولم يصدق ما اقترفته يداه .. وما تشاهده عيناه .. وارتخت أعصاب جسده بالكامل .. وجلس على ركبتيه ينظر إلى جثتها .. وإلى وجهها الشاحب الذى غادرته الحياة إلى الأبد .. وإلى عينيها الجاحظتين من أثر الاختناق والألم .. وساعتها شرع يصرخ .. ويصرخ .. ويصرخ .. ثم احتضنها فى قوة كادت تكسر ضلوعها .. وشرع يبكى ويبكى ويبكى .. ويصرخ ويبكى .. وعندما انتهى من نوبة صراخه .. وبكائه ونحيبه عليها .. شرع يقول لها متوسلا منتحبًا :

سامحينى .. سامحينى يا أغلى الناس .. سامحينى يا أعز الناس .. سامحينى يا حبيبتى يا عشيقتى .. .. لقد أرسل الله العظيم لى حبيبًا .. وملاكًا .. فقتلته .. ما هذا العقاب القاسى الذى أنزلته بى .. ما هذا الذنب العظيم الذى اقترفته .. ما أبشع هذه الجريمة التى اقترفتها .. إلى متى .. إلى متى .. سوف أقتل .. كل حبيب ؟

إلى متى سوف أعيش فى هذا العذاب ..؟

أين سأجد حبيبًا مثلك .. يومًا ما .. كيف سيجود على الزمان بمثلك ..؟ يا درة العين والفؤاد .. كيف سولت لى نفسى .. وقتلت روحًا من أجمل وأطهر البشر .. كيف سأعيش من بعدك ؟؟

وقد قتلتك بيدى هذه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم نظر إلى وجهها الملائكى البرىء .. وتذكر أنها المرأة الوحيدة التى دق لمحياها .. قلبه .. فكان هذا هو جزاؤها .. ومصيرها . وانهمرت دموعه على وجهها الجميل .. الذى لم يفقد جماله .. حتى بعد موتها .. أو بمعنى أدق بعد قتلها .. ومسح دموعه الملوثة .. بخطاياه بسرعة .. من على وجهها .. لأنه رأى أنه إنسان ملوث .. ولا يجب تلويث هذا الوجه البرىء .. بدموعه .. وأصبح قلبه فارغًا .. خاويًا ..

وأدرك أن كثرة الجلوس بجوارها .. ليس منه ثمة فائدة .. وإن كان قد فكر فى الانتحار .. وقتل نفسه جزاء ما اقترفت يداه .. ولكنه أدرك أيضًا عدم فائدة ذلك .. وعدم جدواه .. أو بمعنى أدق .. عدم قدرته على ذلك .. وتحرك من جوارها بصعوبة ..

وقد أثقلته جريمته .. وجر نفسه .. وقدميه جرًا بمنتهى الصعوبة .. حتى وصل إلى زر الجرس الخاص بالمعمل .. وضغط عليه بمنتهى الصعوبة سيما مع الارتعاشة .. والتى تشمل جميع أنحاء جسده .. وبعد دقائق حضر مستر (جون) وباختصار شديد شرح له الأمر .. وما حدث ودون عتاب .. فلا وقت لذلك ... تركه (جون) .. ثم ذهب مهرولاً .. وعاد بعد أقل من دقيقة .. ومعه فأس .. ثم قال (لدانى) آمرًا :

إن الشرطة تملأ جميع أنحاء وأرجاء الغابة .. وليس هناك حل لذلك .. سوى أن تتجه أنت بهم شرقًا لإلهائهم .. وسأتجه أنا بها ...

فقاطعه (دانى) فى إصرار شديد :

ــ كلا لن يدفنها أحد سواى ..

ومن زجاجة معينة فى أحد أركان المعمل ... تناول كل منهما الجرعة الخاصة به .. وقبل مرور دقائق تحول كلاهما .. إلى ذات الكائن بذات الصورة .. والهيئة والشكل .. وحمل (دانى) بهيئته الجديدة جثة حبيبته .. وفى سرعة البرق .. كان كلاهما قد وصل .. إلى غرفة (دانى) ومن شرفة غرفة هذا الأخير .. انتقلا إلى الغابة .. وانصرفا فى اتجاهين مختلفين .. وفى اتساق مدهش ذهب كل منهما ليؤدى المهمة المتفق عليها ...

بكل حرص .....

واحتراف ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

(18) أقل ـ الجرائم

تحرك (جون) .. فى هيئته الجديدة .. متجهًا بكل قوة .. نحو الغابة .. نحو رجال الشرطة وهو لا يهابهم .. ولا يخشى ثمة شىء فى هذه الدنيا .. بل ولا يجرؤ ثمة شىء فى الوجود .. على إخافته وهو بهذه الهيئة .. فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بحبيبة (دانى)... درة عينيه وفؤاده والذى من أجله .. فهو على استعداد .. لفعل الأفاعيل.. بل لفعل أى شىء .. من أجله .. ومن أجل حمايته حتى ولو كان ذلك .. على حساب نفسه أو حتى حياته .. واستطاع اجتذابهم كلهم نحوه بكل مهارة .. وتحرك جميع الرجال خلفه .. فى فرحة وإصرار .. وأطبقوا عليه .. من كل ناحية .. وكلما اعتقدوا بأنهم قد حاصروه .. وأنه لا مفر أمامه .. كان يهرب منهم بكل يسر وسهولة .. وبالطبع لم يستطع ثمة أحد منهم إصابته .. بأية رصاصة ولو طائشة .. فما لا يعرفونه أنه كان يرى .. كل الرصاص الذى كان يتجه نحوه .. حتى أعجبته اللعبة .. حتى أنهكهم .. وشارفت ذخيرتهم على النفاذ وأعجبته هو تلك اللعبة .. أما (دانى) فلم يتحرك .. إلاَّ بعد التأكد من خلو الطريق أمامه تمامًا .. وتحرك هذا الأخير بحمله .. فى يسر ومرونة وكأنه لا يحمل ثمة شىء .. وكان يعرف طريقه جيدًا .. وكان يعرف إلى أين سيتجه ؟؟

وإلى أين سيذهب ؟

ليوارى سوأتها التراب ..

ولكن ماذا بعد ...؟

وكيف سيعيش هو بعد ذلك بجرائمه ؟؟

كيف سيتحمل عقوبة عذاب الضمير ؟

كيف سيتحمل عقوبة إحساسه بالذنب على قتل حبيبته .. ودرة عينه وفؤاده وحياته .. وأخيرًا وليس آخرًا .. وصل (دانى) إلى المكان المنشود .. والذى استقر رأيه عليه .. منذ البداية فقد كان بالنسبة له .. هو أنسب مكان ليوارى فيه سوءة حبيبته .. وفى ذلك المكان جلس بجوارها .. وهو يحتضنها .. وبعد أن استعاد هدوءه .. استعاد هيئته البشرية .. وشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى .. وهو لا يصدق حتى الآن .. بأنه قد قتلها .. وبصعوبة تركها وبدموعه قبل ذراعيها .. شرع يحفر .. ويحفر .. ويحفر .. وتداعت الذكريات أمامه منذ البداية مرة أخرى .. قسوة والده .. وحنانه وشقيقه .. حفر والده القبر الخاص بشقيقه .. لقتله ودفنه حيًا .. ثم توقف عن الحفر فجأة وهو يقول لها .. وكأنها ما زالت على قيد الحياة .

أتعرفين .. لقد قُتلتى بدون ذنب اقترفته وأنت لم تعرفى سوى الجزء الكبير من الحكاية .. ومن حقك أن تعرفى باقى القصة .. حتى ولو لم تكونى على قيد الحياة .. وجلس بجوارها واحتضنها واستكمل روايته :

بعد أن قتل شقيقى .. أمام عينى .. وجريت فى الغابة على غير هدى .. حتى فقدت الوعى حملنى مستر (جون) إلى بيته .. والذى تبعنى وشاهد وعرف كل شىء .. وبعد أن استيقظت هدأ من روعى .. وحذرنى .. من التحدث مع والدى بشان أى شىء .. وأن أتعامل معه وكأن شيئًا لم يحدث .. حتى لا يصيبنى ما أصاب شقيقى .. ومن جانبه سيكون بجوارى وسيحرص على ألاَّ يصيبنى ثمة مكروه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأنه ما علينا سوى الصبر .. حتى نهرب يومًا ما منه .. ومؤقتًا سمعت الكلام .. ولكنى لم أقتنع .. وعاد أبى متأخرًا فى ذلك اليوم .. على عادته وكأن شيئًا لم يحدث .. وكان معه خشب قليل .. وشرب خمرًا حتى الثمالة .. وهو كان شاربًا للخمر وليس مدمنًا .. وبالطبع لم أسأله وهو فى حالته هذه عن أى شىء .. وفى الصباح سألته بكل براءة عن شقيقى .. فأخبرنى بأنه قد سافر إلى ولاية أخرى .. للعمل هناك ولا يعرف متى سيعود .. ولم يقل أكثر من ذلك .. ولم أسأله أنا مرة أخرى .. خشية استفزازه .. ومرت الأيام .. ثم مرت سنة كاملة .. وأنا تقريبًا فى حالة خصـــام مع أبى .. لا أتحدث معه إلاَّ فى أقل القليل .. أو بقــدر الحاجة وأصبح البيت كالجحيم منذ قتل شقيقى .. فقد ذهبت البهجة والسعادة من البيت .. وغادرته إلى الأبد بلا عودة .. وفى الوقت الذى كان فيه مستر (جون) يقوم بتحريضى فيه على الهرب .. كان تفكيرى أنا مشغول بشىء آخر .. بل شىء مختلف تمامًا .. ومللت من الجلوس فى البيت .. سيما وأننى لم أدخل إلى المدرسة إلاَّ وأنا كبير .. وبعد مرور عامين آخــرين تقريبًا .. على قتــل شقيقى .. رسمت خطتى .. وقررت تنفيذها مهما كان الثمن .. وطلبت من أبى الخروج معه إلى الغابة للعمل .. وقبل أبى بذلك على مضض .. وطوال عام كامل .. ونحن نعمل أنا وأبى فى صمت تام .. لا يتحدث كلانا إلى الآخر ... إلاَّ بقدر الحاجة .. بشأن العمل .. وكان لدى مستر (جون) قفازًا من البلاستيك أخذته منه .. وكنت لا أعمل إلاَّ به .. وكــان ارتداء هذا القفاز من ضمن خطتى .. وكانت توجد حافة تطل على هاوية .. دائمًا كان أبى يحب الجلوس عليها .. والتحدث معىَّ فى أى شىء .. وكان أبى يتظاهر دائمًا .. بأنه غير نادم على ما اقترفته يداه .. ولكنى كنت أشعر أنا بغير ذلك .. سيما وأن شقيقى قد ترك فراغا رهيبًا فى حياة الجميع ..

بلا استثناء .. ومنذ قتل أبى شقيقى بهذه الطريقة البشعة أمام عينى .. انتزعت كل مشاعر الحب .. والحنان .. والرحمة .. والعطف والشفقة .. نحوه ولم يتبق سوى مشاعر البغض .. والغل والحقد .. والانتقام .. والرغبة فى أخذ ثأرى منه لقتل شقيقى .. بأية طريقة .. وفى آخر مرة كنا نجلس فيها .. سويًا على تلك الحافة .. وكانت معنا حقيبة المعدات الخاصة بالتحطيب .. استأذنت من أبى لإحضار القفاز .. الخاص بى .. ولم ينظر أبى خلفه على غير عادته .. وأحضرت ذات الفأس الذى استخدمه أبى فى حفر قبر أخى .. وكأن أبى كان يشعر بما أنتوى فعله .. وشرع يتكلم .. ويتكلم ولم يستدر خلفه كما أخبرتك من قبل .. وأمسكت الفــأس بكل إصرار وثبات .. واقتربت من أبى وضربته ضربة واحدة .. على مؤخرة رأسه .. سقط على إثرها فى الهاوية صريعًا .. ونظرت عليه .. نظرة أخيرة .. نظرة الوداع .. لأتأكد من موته وعندما تيقنت من ذلك .. انتابتنى حالة من الرعشة الشديدة الممزوجة بالبكاء الشديد .. وسقط الفأس من يدى .. وشرعت أعود .. أعود بظهرى إلى الخلف .. من شدة الخوف .. والرعب وارتطمت به .. مستر (جون) الذى شاهدنى حال ارتكابى لتلك الجريمة .. وكانت رجفة شديدة لى .. آنذاك .. ولم تحتمل قدماى حملى .. فجلست أرضًا وانتابتنى نوبة من البكاء الشديد .. على صدر مستر (جون) آنذاك ..

وشرع يبكى ويبكى ويبكى .. عندما تذكر جريمته الشنعاء لقتله والده .. وانتهى من نوبة بكائه واستطرد روايته لها قائلاً من بين دموعه :

واحتضننى مستر (جون) وانتقلنا من مكاننا إلى مكان آخر .. بعد أن باع بيته وسخر نفسه لى .. وجند كل أمواله لخدمتى .. ودلفت إلى

Looloo www.looloolibrary.com

المدرسة .. وشرعت فى الدراسة والتعلم .. وساعتها وساعتها فقط .. شرعت فى التفكير .. وتذكرت كلام أبى .. أنه كان يكره أخى لأنه دميم .. وهذا يعنى بمفهوم المخالفة أنه يحبنى لأننى جميل .. وسألت نفسى هذا السؤال أمن الممكن أن يفكر أبى بهذا الأسلوب .. هل يعامل أب أولاده بهذا الأسلوب ؟ أيقتل أب نجله لهذا السبب ؟؟

من أجل ذلك ؟

ومرت السنون ووصلت لمرحلة الشباب .. وكنت فى غاية الوسامة والجمال .. ولاحظت أن الجميع بلا استثناء .. نساء ورجال .. كان هذا هو سببهم الرئيسى .. فى حبى وربما عشقى وتهدج صوته وهو يستطرد : وتذكرت شقيقى وحبيبى (تونى) .. الذى قتل لجريرة لم يكن له أدنى ذنب فيها .. وتذكرت جريمتى الشنعاء .. جريمة قتلى لأبى .. أبى الحنون .. الذى لم يسئ إلى .. فى أى يوم من الأيام .. و بقدر فهمى للعلم سخطت على نفسى .. وكرهت جمالى .. وفكرت فى تشوية نفسى .. فجعلت العلم وسيلة لغايتى .. وشرعت أخترع فى أدوية .. وأمصال .. لتشويه الوجه بالذات .. وبالطبع كنت أقوم بتجربتها على نفسى فقط .. حتى وصلت لهذا الاختراع الأخير .. ولكن بعد فوات الأوان .. فجسدى من كثرة التعرض للتجارب .. وتناول الأمصال ومع آخر .. اختراع .. تحول إلى ما شاهدته بنفسك .. وكان سببًا فى قتلك .. بدون قصد .. ولكن هذه الأمصال كان بها أدوية أخرى لتقوية الجسد .. بصفة عامة .. وبقية الحواس بصفة خاصة .. واستطعت اختراع دواء مضاد .. ولكن كما قلت لكى بعد فوات الأوان .. ولم أكن أتوقع ولو للحظة .. بأننى سأتحول إلى ذلك الكائن .. القاتل ..

ليقتلك أنت بالذات .. يا درة الفؤاد .. وسجنت نفسى وعزلت نفسى عن العالم .. حتى أتمكن أولاً من الوصول إلى اختراعى .. وبعد نجاحى فى الوصول إليه .. عزلت نفسى عن العالم .. مرة أخرى .. خشية وصول اختراعى إليهم .. وشاهدت حبيبى مستر (جون) الذى جعلنى مع الأيام أناديه بأبى .. يسقط نتيجة لكبره فى السن .. وينال منه الزمن .. ولأن اختراعى يعطى قوة رهيبة ويعالج الخلايا .. المصابة أو الميتة .. مهما كانت فطلبه منى .. فأعطيته النسخة المعدلة فأصبح مثلى .. ولكن مع قدرته فى التحكم فى نفسه .. فهو لا يقتل .. إلاَّ عند الخطر الشديد .. أو عند الضرورة القصوى .. أو الدفاع عن أحبائه ..

على عكسى .. لا يقتل إلاَّ أحباءه ..

قصتى .. وأنا طوال عمرى .. كنت أحاول إخفاءها بشتى الطرق .. وكافة الوسائل وعدم كشف الغطاء عنها .. حتى حضرت أنت يا زهرة البستان ومعك فتح الغطاء من تلقاء نفسه .. وها هو ذا الثمن روحك الطاهرة ؟؟ وجثتك الغالية يا درة الفؤاد ..

وشرع يبكى ويبكى ويبكى .. ثم شرع يستكمل حفر .. وطفق يحفر .. ويحفر .. حتى انتهى .. من قبرها .. وأودعها ووارى جثتها التراب .. بكل حنان .. وذلك بعد أن وضع .. جزءًا من ملابسها الطاهرة على وجهها البريء .. وتداعت له الذكريات مرة أخرى .. ذكرياته مع شقيقه .. وحتى هذه اللحظة .. وبعد أن انتهى من دفنها .. أدرك أن عليه من الآن فى التفكير جديًا للتخلص من نفسه .. ولتخليص العالم من شروره ..

إلى الأبد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأن هذا الاختراع اللعين ..

يجب ألاَّ يخرج للعالم ..

وألا يعرف به .. ثمة أحد .. مهما كان الثمن ..

حتى ولو كان الثمن .. ارتكاب العديد من الجرائم ..

والقتـــل ..

مرات ..

ومرات ..

* * *

تمت بحمد الله وتوفيقه

أبناء سارة للشباب من :

روايات مصرية للجيب

مفاجأة جديدة

سلسلة جديدة من روايات مصرية للجيب تجمع كل الفائزين فى مسابقة :

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

ظهر من هذه السلسلة :

1	البرنامج (تجربة خطيرة) .	بقلم / عبير عبد الرزاق
2	لوتس (دعاء ق المعبد) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
3	مغامرات صحفية (كلاب جائعة) .	بقلم / مصطفى محمد سليمان
4	مغامرات (س) (رجل من وهم) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
5	المغامر العنيد (المملكة المفقودة) .	بقلم / محمد عبد اللطيف عبد الوهاب
6	منقذات سريعة (300 دقيقة) .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
7	مغامرات (س) (عيون القط) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
8	لوتس (نصائح نبيلة) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
9	مغامرات (س) (الأخرج) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
10	مغامرات (س) (دائرة الموت) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
11	لوتس (شبح المقابر) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
12	مغامرات (س) (صديقتى) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
13	مغامرات (س) (دقات الفزع) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
14	لوتس (الجمرات الذهبى) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
15	مغامرات (س) (أخوة الدم) ج1	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
16	مغامرات (س) (أخوة الدم) ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
17	لوتس (أميرة الرمال) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
18	مغامرات (س) (وراء الظلال) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
19	مغامرات (س) (اللعنة) ج1	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
20	مغامرات (س) (اللعنة) ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
21	حياة جديدة .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
22	العائلة .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
23	الذى فعلته .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
24	لعنة فرنسية .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
25	أيام مع الشبح .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
26	منظمة اجهة الفوضى .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
27	لعنة بريطانية .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
28	حياة جديدة ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
29	عصر الفزع .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
30	أسطورة المومياء .	بقلم / أحمد عيسى السيس .
31	صراع الأوغاد .	بقلم / محمد دسوقى .
32	سين تربيع .	بقلم / د. حسام مكى .
33	العرقبة السوداء .	بقلم / وائل الفاخرى .
34	لا تفسح .	بقلم / وائل الفاخرى .
35	آلة الزمن .	بقلم / د. حسام مكى .
36	وجبه المذبوح .	بقلم / د. حسام مكى .
37	الحنان والقسوة .	بقلم / وائل الفاخرى .

فى كل رواية متعة دائمة !!

Looloo
www.toutoulibrary.com

روايات مصرية

سلسلة الروايات 37

فى كل رواية متعة دائمة !!

وائل القاضى

5/1/015

الحنان و القسوة

استطاع مستر «دانى» أن يبتكر شرابًا إذا شربه إنسان يتحول فى الحال إلى وحش كاسر يقتل من حوله و ما حوله .

يقع مستر « دانى » فى حب خادمته إلا إن هذا الحب تحول إلى قسوة شديدة ، فبعد تناوله لهذا الشراب تحول إلى وحش كاسر فقتل حبيبته وانتحب عليها كثيرًا .

الثمن فى مصر 7

وما يعادله بالدولار الأمريكى

فى سائر الدول العربية والعالم

العربية الحديثة

الخط الساخن

19350